محمد الرطيّان

محاولة ثالثة





محمد الرطيّان

محاولة ثالثة



محمد الرطيّان: محاولة ثالثة

Book: Mohaolh Thaltheh

الكتاب: محاولة ثالثة

Author: Mohammed Al-Rotayan

المؤلف: محمد الرطيّان

First Edition: 2011

الطبعة الأولى ٢٠١١



طوى للثقافة والنشر والإعلام - لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM

Email: tuwa@london.com

Tel: 009662108111 - 00966505481425

التوزيع: منشورات الجمل

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ - ٠١ - ٠٠٩٦١

ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣ بيروت - لبنان

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany

www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

الإهـــداء

لك أنت



الورقة الأولى

تقول الحكاية الأسطورية أن أحد البدو وجد «اللام» و«الباء» و«الحاء» مرميّة على جانب الطريق.. أخذها ووضعها في خرجه:

جمعها أول مرة و«حلب» ناقته.

وجمعها مرة أخرى وأكل الـ «بلح».

وبعد فترة اكتشف أنه يستطيع أن يصنع منها الـ «حبل» الذي

يجلد به خصومه ويقيّد أعداءه!

أحد أحفاده ـ الآن ـ يحاول أن يصنع

من «اللام»: لا

ومن «الباء»: بداية

ومن «الحاء»: حريّة!



أما قبل



كتابة عن «الكتابة»!

قال له ـ باحترام وتقدير مبالغ فيه ـ: أريد أن أشبهك. .

ردّ عليه: الأكثر شبهاً بي هو الذي لا يشبهني!

❊ ❊ ❊

أجمل النصوص. . هو هذا الذي تقرأه بعد سنوات من كتابته وتراه طازجاً ولذيذاً، وكأنه خرج للتوّ من «فرن» الكاتب.

أتعسها. . هو الذي يأتيك باهتاً وبارداً وهو على المائدة!

❊ ❊ ❊

«الكتابة»: هي أن تُدخل يدك في النار. . وتخرجها وفيها ست أصابع!

❊ ❊ ❊

من أراد الحياة في «الكتابة» فليجرّب الموت فيها!

❊ ❊ ❊

دع الحياة تكتبك. .

واتركها لتقرأك بعناية.

وبعد هذا اقرأها بشكل جيّد. .

ثم اقرأها بشكل جيّد. .

ثم اقرأها بشكل جيّد. . . ثم اكتب!

❊ ❊ ❊

كاتب:

رغم كل هذا الأكسجين الذي يملأ الفضاء. .

إلا أن «المعنى» الذي استعصى عليه. . يخنقه!

❊ ❊ ❊

اقرأ كأنك لم تكتب. . اكتب كأنك لم تقرأ.

❊ ❊ ❊

يمارس ألعابه البهلوانية على الملأ

وفي الخفاء: يُقبّل أنف «الرقيب» صبح مساء

يوحي للقارئ بأنه: صوته وسوطه

مسكين هذا «الكاتب». .

ألا يعلم أن «القارئ» يرى ويعي كل ما يفعله؟!

❊ ❊ ❊

على أطراف أصابعه

يقف: «الشيخ» و«الوزير» و«القبيلة» و«علاقاته الاجتماعية». .

ومن ثم يدّعي بأنه: يكتب بأصابع حُرّة!. . . كيف؟!

❊ ❊ ❊

. . .، وجاء في التقرير الطبي:

مات مختنقاً بحرف «الراء» في كلمة «الحريّة»!!

كتابة داخل «الكتابة»!

(١)

في داخل كل كاتب: «شيخ» حكيم. . و«صبي» مشاغب. .

وأنا منذ سنوات أحاول أن أعلم «الصبي» المشاغب شيئاً من الحكمة. وأحاول أن أنزع ثياب الوقار عن «الشيخ» لأجعله يرقص عارياً على حافة السطر!

(حتى هذه «الفقرة». . لا أدري من منهما حرّضني ـ قبل الآخر ـ على كتابتها؟!)

. . و«الصبي» يحاول أن يُعيد ترتيب ألوان قوس قزح في السماء، ويريد أن يُعطر المساء بأنفاس النساء، ويكتب على الحائط «طز» لـ. . . بعض الأسماء!

و «الشيخ» يحاول أن يتكئ على «عكاز» المعنى. . لكي لا «تعرج» الفكرة!

و «أنا» أحاول أن أوفق بينهما. .

فحضورهما يرهقني. . وغيابهما يرهقني أكثر!

(هناك «امرأة» تتابع المشهد. . وتكمله).

(٢)

«الفكرة»: امرأة.. تراودك عن نفسها.

ـ عند الكتابة لا تدّعي الفضيلة!

ـ عندما تنزع «الفكرة» أول قطعة من ملابسها..

كن أنت: سريرها!

لحظات، وتضيء: بك.. ولك.

(٣)

إذا قالت الفكرة / المرأة: «خذني إلى البحر».

اذهب إلى البحر.. وخذه إليها: ليتبلل بها!

ويرى بعض أصدافها ولآلئها وأمواجها.

....

وجود البحر بجانب المرأة، لا يخلو من مخاطر.. منها:

ـ أن يغرق البحر!

(٤)

الشيخ رغم وقاره: لا يرفض نزع بعض ملابس الفكرة!

والصبي رغم شغبه: يرفض أن يراها عارية تماما!

اتفقا على أن يغطياها بشال شفاف.

وعليّ «أنا» أن أنسج هذا الشال من دمي وأعصابي!

(٥)

الصبي المشاغب: صيّاد ماهر.

والشيخ الحكيم: فلاّح صبور.

وأنا.. أجهّز المائدة!

والفكرة الحسناء قادمة في الطريق إلينا لتتناول العشاء معنا.

كيف تكتب مقالة آمنة في خمس دقائق؟!!

عندما لا تجد شيئاً تكتب عنه، اكتب عن مطبات الشوارع، ولكن. . حذار من الدخول في التفاصيل، فكما يُقال «الشيطان يكمن في التفاصيل»!

فمثلاً: ليس من الضروري أن تتحدث عن المؤسسة التي زفتت هذا الشارع، وكيف حصلت على مناقصة سفلتته، وكم كانت قيمة العقد؟ . . وكي لا يغريك شيطانك بالدخول في تفاصيل التفاصيل. . فلا تفكر هل يوجد «شريك خفي» لصاحب المؤسسة المُعلن، أم لا؟!

وكن حذراً، كي لا يجرّك الحديث عن الشارع ومطباته، إلى الحديث عن «رجل الشارع» وهمومه التي لا تنتهي. . فهل أنت مستعد لفقد المسؤولين في الشارع من أجل مجرد «رجل شارع»؟!

واعلم كذلك ـ يا رعاك الله ـ أنه من غير المستحب الحديث عن «رجل المرور» الذي يُنظّم السير في الشارع!

ولا ترفع رأسك إلى الأعلى، فاللافتات الإعلانية وأضواؤها الباهرة ستُصيب عينيك بالزغللة. . وما تحتويه من كلمات وإرشادات وتوجيهات ستُصيب رأسك بالصداع:

فهذه يافطة تنصحك بالاتجاه إلى اليمين (لأنه درب الغانمين)

وهذه يافطة تدعوك للاتجاه إلى اليسار (لأنه درب الأحرار)

وهذه تقول لك إن «الاتجاه إجباري».. وأخرى تقول: «قف»!

لا ترفع رأسك، ولا تنظر إلى الأعلى.. انظر إلى الأسفل، وركّز على المطبات!..

ودع عنك البربسة والبربرة والكركرة، وطرح الأسئلة السمجة، من نوعية:

من الذي صنع هذه «المطبات»؟.. ولماذا؟

وبأمر من تم إنشاؤها؟.. وإلى أين يتجه هذا الشارع؟.. وما هو مستقبله؟..

وهل هو شارع نظيف أم شارع متسخ ينخره الفساد والحُفر والمستنقعات؟!

ولا تنسَ أن يقتصر حديثك دائما على «رجل الشارع» فقط، ولا تأتِ على ذكر «امرأة الشارع» فهذه عبارة لها إيحاء جنسي مكروه.. والعياذ بالله!!

وبهذا الشكل ـ يا ولدي ـ أنت استطعت أن تكتب مقالاً آمناً مطمئناً خالياً من الضغط والسكر والشطب والكولسترول والجلطات الرقابية المفاجئة!

وآخر الشهر ستحصل على المكافأة.. وآخر السطر ستحصل على تصفيق الجمهور!

هليّل..
وآخرون لم يهربوا من النص!



«هليّل»

(١)

وكل مسألة فيها قولان.. إلا «هليّل»!

فعندما يأتي ذكره، تسمع ألف قول وقول.

نَسَبُهُ؟.. هناك من يقول إنه من قبيلة لا شأن لها بين القبائل، وهناك من يقول إنه أتى نتيجة علاقة آثمة، وهناك من يقول إنه من بقايا «الأرمن» الذين نجوا من مذابح «الأتراك»، وهناك من يبتكر رواية رابعة لا تقلّ في الخيال والحبكة والإثارة عن الروايات السابقة!

تنظر إليه، وتصيبك الحيرة: هل هو أبيض أم أسود؟!

نغمة صوته تقول لك إنه أسود، وكذلك شكل الشفتين. بقية التفاصيل في ملامح وجهه تقول إنه أبيض، لونه يقف ما بين اللونين!

عمره؟.. هناك من يقول إنه بعمر مدينتنا الصغيرة، وهناك من يُقسم بأنه أكبر منها قليلا!

الأكيد أننا ولدنا وهو موجود، وعندما نسأل من سبقونا من «الشيبان» الأكبر سناً، يقولون لنا:

نذكر وجوده بيننا.. ولكننا لا نتذكر من أين أتى ومتى أتى!

ما يزال الناس يتذكرون بعض «أقواله» وكأنها نبوءات، أو عبارات لحكيم:

«باكر تجيكم عاصفة من غرب، اللي مات يحمد ربه، والحي يتمنى لو أنه ما أنولد!»

استعادت الناس عبارته تلك قبل فترة، عندما هاجت الصحراء على أطراف مدينتنا، وأصابتها نوبة من نوبات الغضب. يرددون هذا القول وهم يضحكون في العلن، وكأنهم يسخرون من العبارة وصاحبها، ولكنهم مرعوبون في السرّ، ويدعون الله بهمس أن لا تكون تلك «عاصفة هليّل»!

وهذا ما حدث عند الحرب على العراق، استعادوا عبارته التي يقول فيها:

«شقر الشعور، زرق العيون، باكر يجون!»

وكم من مرة يسيّسون ما يقوله «هليّل»، وكم من حادثة يحوّرونها قليلاً لكي تكون ملائمة لإحدى عباراته.

كان يدخل البيوت (حتى تلك المحافظة جداً) دون استئذان، والنساء اللواتي لا يكشفن وجوههن للغرباء.. يكشفن أمام «هليّل» كأنه أحد الأقارب!

يمازحهن، ويغني لهن بعض الأبيات من قصيدة عاميّة (يُقال إنها له، ويُقال إنها كُتبت في حبيبة سريّة لا يعرفها أحد) بل إنه يتجاوز أحياناً ويقول لهن ما هو فاحش من الشِّعر، وقبل أن تأتي ردة فعلهن الغاضبة لجرأته، يلتفت إلى الصغار ويصرخ «فررررر».. ويقوم بلف

شماغه الممزق من جهة الأذنين على شكل أذني ذئب، ويطاردهم في باحة المنزل، ويقوم ببعض الحركات الضاحكة التي تُضحك الأطفال... والنساء أيضاً، واللواتي وسط ضجيج المشهد والمرح ينسين ما قاله قبل قليل في قصيدته عن: النهد والخصر والضم في ليالي الشتاء الباردة!

طبعاً.. لا يخرج إلا بعد أن يتناول الغداء مع أهل البيت، وذلك بإصرار من «الرجال» عندما يعلمون بوجوده، بالإضافة إلى حصوله على كيس يحتوي على بعض المعلبات والخبز، وكيس آخر فيه بعض الملابس.. ويقبل أي شيء من الملابس ولأي موسم.. عدا الأحذية فهو لا يقبلها، ويفضّل أن يمشي حافياً.

عندما نلتقي معه في الشارع، وذلك بعد خروجه من أحد المنازل، نسأله عن ابنتهم الحسناء «هل رأيتها»؟.. «وش كانت لابسه»؟.. «هي حلوة يا هليّل»؟.. كان يغضب من أسئلتنا، فهو يرفض أن يتحدث عن نساء أي بيت يدخله، وكنا نعرف كيف نطفئ هذا الغضب، ونستر أنفسنا لكي لا يفضحنا أمام أحد أخوتها.. وذلك بـ «خمسة ريالات».. وما أسوأ حظك إن لم يكن لديك ورقة نقدية من فئة «الخمسة ريالات».. سيصرخ بأعلى صوته بأنك بخيل بالإضافة إلى بعض الصفات السيئة الأخرى.

كنا نسميها «خمسة الأزمات» وأحياناً «خمسة هليّل».. نضعها في جيوبنا احتياطاً، فمن الممكن أن نلتقي به في أي شارع ويطلب: «هات خمسة ريال»... تريد أن تعطيه «عشرة»، أو «خمسين» أو

حتى «مائة» حتى تسلم من الفضيحة.. ولكنه لا يقبل!.. إما «خمسة»، أو الفضيحة!

حتى أصحاب البقالات عندما يأتي «هليّل» إليهم.. من الممكن أن يأخذ ما سعره أكثر من خمسة بخمسة ريالات فقط.. لأنه دائماً ما يحدث العكس أيضاً فيأخذ ما قيمته أقل من خمسة ولا يقبل أن يأخذ الباقي.. كأن محفظته المهترئة والصغيرة لم تصنع إلا لحمل الخمسات!

يحكون عنه بعض الحكايات الخرافية..

فهناك من يقول إنه شاهده في إحدى الليالي على أطراف المدينة، في الصحراء، حوله الكثير من النيران المشتعلة، وأنه سمع أصوات أناس لا يراهم، وكان «هليّل» وحده يغني ويرقص.. وتُروى مرة أخرى مع إضافة سماع أصوات الطبول!

ويحدث أن شخصين يرويان أنهما شاهداه في مكانين مختلفين في نفس الوقت!

وأصحاب هذه الروايات، هم في الغالب من يروّج لنظرية أن «هليّل» جني.. وليس أنسياً!

(٢)

«هليّل» مات..

ومدينتنا أصبحت بلا طعم بغيابه.

بل إن كل مدينة لا يُوجد فيها «هليّل» هي مدينة ناقصة.

(٣)

حتى هذا اليوم ـ وبعد سنوات من موته ـ هناك من يقول إنه رآه البارحة!

حصان

. . .، وقبل أن يموت الحصان العجوز في إحدى مزارع (تكساس)، أخبر أبناءه الثلاثة:

أنه يعود إلى أصول عربية، وأن جدّهم السادس بعد المئة هو الذي شارك (طارق بن زياد) فتح الأندلس!

بعد وفاته بفترة، تفرّق أولاده:

الحصان الأول.. أصبح نجما سينمائيا في هوليوود

يشارك بتصوير إعلانات سجائر المارلبورو.

الحصان الثاني.. أصبح حصان سيرك!

الحصان الثالث.. مات غرقاً وهو يحاول عبور المحيط إلى الشرق.

. . . .

بعض الروايات تقول: إنه وصل!

حـكـايـة بـاب!

لا أذكر الماضي بشكل جيّد، وليس لي «شجرة عائلة» تحدد نسبي!

لا أعرف ـ بالضبط ـ من أي شجرة أتيت..

وبالكاد أتذكر رائحة أصابع النجار وهو يعمل بمهارة لتحديد ملامحي النهائية.

كنت أظنني كرسيّاً.. دولاباً.. طاولة.. شباكاً...

لم يخطر ببالي أنني سأكون «باباً»!

حظّي الرائع هو الذي أوصلني لكي أكون «الباب الرئيسي» لهذا المنزل الريفي الصغير. في البداية كنت أنظر لسكانه بريبة، وكانت خطوات الصغيرة «سارة» تشعرني بالرعب لأنني أعلم أنها ستنزع مقبضي بعنف ـ عند فتحي ـ وستجعل أطرافي ترتعد عند إغلاقي... وحدها «سيدة» المنزل ستعاتب «سارة» لتصرفها غير المهذب معي فيما يكتفي «السيّد» بالضحكات العالية لشغب طفلتهما المدللة.

شعرت أن هناك علاقة ما بدأت تنمو بيني وبين «السيدة».. كانت لمستها لي مختلفة.. كنت أشعر بالدفء والأمان عندما تفتحني

وتغلقني. قامت بتزييني من الداخل بعمل فني على شكل سجادة أنيقة.. ومن الخارج كانت تعلق على صدري كل فترة بعض الأزهار التي تقطفها من الحديقة الصغيرة.. كنت أقنع نفسي أن هذه الأزهار عُلقت على صدري لأجلي.. لا لأجل الضيوف!... كم أكره بعض الضيوف والزوار الثقلاء وطرْقاتهم الغبية.. ولكن.. أصدقاء وصديقات «السيدة» أحبهم.. حتى وإن «طرقوني» بعنف أحياناً.

تمرّ السنوات، وأشعر أنني أصبحت جزءاً من هذه العائلة.

كنت أرى «السيدة» وهي تكبر.. وأرى الطفلة «سارة» وهي تنزع ثياب طفولتها وتتحوّل إلى صبيّة فاتنة.

ذات عام ـ وكم كان حزيناً هذا العام ـ رحل» السيّد» الذي خطفه الموت، ورحلت «سارة» لتكمل دراستها الجامعية في المدينة البعيدة.

بقينا وحدنا: أنا و«السيدة»..

كنت أراها وهي تذبل أمامي وتفقد نضارتها، ومع هذا كنت ـ كل يوم ـ أنتظر بفارغ الصبر لمستها لي عندما تفتحني في الصباح.. كانت تلك اللمسة تشبه «صباح الخير». اعتادت في الفترة الأخيرة أن تشرب قهوتها بجانبي.. تسحب كرسياً خشبياً وتجلس على الشرفة.. (كم أحسده، وكم تمنيت لو أنهم صنعوني كرسياً بدلا من باب!).. أظنها تفكر بـ«سارة».. وتتذكر «السيّد»... ورغم أنني نصف مفتوح إلا أنني أنشغل عن داخل المنزل بالنظر إلى خارجه.. إليها!

في ليالي الشتاء، كانت تجلس في الصالة تقرأ كتاباً، وكنت أبتهج

لرؤيتها بقربي.. ورغم العواصف والبرد والأمطار التي تضرب ظهري من الخارج إلا أنني كنت من الداخل أشعر بالفرح والدفء.

في أحد الأعوام (لا أدري متى بالضبط، فذاكرتي توقفت في ذلك اليوم) أتى بعض الغرباء ـ وبعد سلسلة طرقات عنيفة ـ ضربوني بقوة.. وبعد همهمات وحوار مرتبك.. دخلوا غرف المنزل يفتشونها.. بعد دقائق خرجوا من المنزل وهم يحملون «السيدة» على نقّالة.. خرجت دون أن تلتفت إليّ أو تلمسني أو تودعني بأي شكل.

مرّت سنوات لم يطرقني أحد. ولم تعلّق الأزهار على صدري.

كبرت.. وصار صوتي بشعاً لكثرة الصرير الذي يحدثه.

ضعفت مفاصلي.. وصار العثّ يأكل أطرافي..

وتآكلتُ من البرد والوحشة والوحدة وتبدل الفصول.

و.. ذات صباح ربيعي بارد: أقبلت نحوي سيدة يرافقها شاب أطول منها وأصغر من عمرها.

«كأنني أعرف هذه الملامح».. اقتربا.. «كأنني أعرف إيقاع هذه الخطوات».. و.. ما إن لمستني حتى سقطت على الأرض!

الأشياء حولي تظن أنني سقطت لأن أطرافي تآكلت ومفاصلي أصابها الصدأ.. لا.. بل لأنني عرفت هذه اللمسة.. إنها تشبه لمسة «السيدة».. ولم لا؟.. طالما أنها من ابنتها «سارة» والذي يرافقها ابنها الشاب. أتت به لتزور منزل العائلة المهجور.

بعد جولة صغيرة في أرجاء المنزل.. وبعد أن هبّ هواء شديد البرودة.. جمع الشاب بعض الأوراق المتناثرة ورمى بها في المدفأة القديمة ليشعل ناراً تجلب الدفء لأمه.. نظر حوله.. واتجه صوبي.. وأخذ يكسّر أطرافي ويرمي بها في النار!

«عـرق» المواطن!

كنّا نشكك بمصدر أمواله، وكان يقول ببراءة:

ـ من «عرقي».

اكتشفنا لاحقاً أنه ـ وبطريقة ما ـ كان صادقاً.

عرفنا أن ثروته كانت من «عرقه» الذي يصنعه في سطح المنزل ويبيعه للأولاد المراهقين في الحارة!

هروب «البطل» من النص!

(١)

. . ، وعند الصفحة رقم «١٢٧» قرّرت أن أهرب من الرواية!

أعلم أنني تركت هذا «الروائي» المجنون في مأزق عظيم. . ولكن من الذي قال له أن يختارني أنا تحديداً بين أكثر من ٢٠ مليون مواطن لأكون بطلاً لروايته التعيسة؟!

كنت أرى أن الأحداث تتجه لنهايتي، وأن الحبكة تستدعي موتي. .

هل كان سيقتلني دهساً بسيارة مسرعة يقودها «كومبارس» مجهول، دوره الوحيد هو أن يدهسني؟. . أم إن عقله الروائي المريض كان سيدفعني إلى الانتحار؟!

لا أعرف. . الذي أعرفه أنني قرّرت الهروب من صفحات الكتاب. . إلى شوارع الحياة.

كنت أعبر الشوارع بريبة. . كنت أنظر بخوف إلى كل السيارات. .

«لعلّ بينها سيارة أرسلها الروائي لكي تدهسني». .

حتى هذه اللحظة لا أصدق أنني هربت من النص!

عند المساء اخترت فندقاً صغيراً ورخيصاً لأقضي ليلتي فيه.

في الصباح صحوت على صوت قرع باب الغرفة.. فتحت الباب.. كان «الروائي» يقف أمامي.. كانت ملامحه حزينة ومرهقة وعيناه مشوشتين ومرتبكتين..

قال لي:

- لم أنم البارحة..

- ....!

قال لي كلاما كثيرا عن: قيمة أن أعيش داخل «النص».. لا خارجه.

وقال: إن الحياة كذبة.. و«النص» حقيقة.

وأقنعني: أنني حتى لو متّ داخل «النص».. فإنني لا أموت!

وأضاف بخضوع: سنجد مخرجاً لنجاتك من الموت.

قلت له: إذاً نتفق على بعض التفاصيل..

قال دون تفكير: موافق.

(٢)

عند الصفحة «١٢٨».. قتلني!

شرق أوسطي وامرأة متوسطية

«حكاية لم تكتمل.. لخلل في الساعة الكونية!»

* هذه حكاية قصيرة جداً، حدثت في مقهى ما، في مدينة ما، في توقيت ما.. وعلى طاولتين متقابلتين:

في نفس اللحظة التي جلستْ فيها على الكرسي في الطاولة المقابلة لي.. جلستُ أنا، ونفس الجرسون الذي سجّل طلبها على دفتره الصغير.. أتى مبتسماً ليسجل طلبي (الجرسون: كائن منافق، يبتسم لك بشكل مبالغ فيه، كأنك أحد أعز أصدقائه.. وما أن يُدير ظهره لك إلا ويسحب ابتسامته الباردة، ويقول بصمت: تباً لك!.. هل يأتي أحد في هذا الوقت ليشرب قهوة؟) ابتسمت وأنا أتخيّل شتيمة الجرسون لي.. لحظتها أشتبك نظري بنظرها وظنّت أن الابتسامة لها فردتها بابتسامة أحلى وأطيب.. لم تستمر سوى ثوان وعادت لتقرأ الصحيفة التي بين يديها.

ما الذي جعلها تسترعي انتباهي؟

بعض النساء بإمكانهن سحب كل الأكسجين من المكان الذي

يأتين إليه، والتحكم في نسبته، وتوزيعه على الحضور: شهقة.. شهقة. لعلها من هذا النوع!

هل أنا «الرجل» الذي يهتم لأي «امرأة» عابرة؟.. لا.

هل لأنها تحمل صحيفتها، وتقرأ باهتمام؟.. ممكن.. فأنا أفضّل التي تقرأ.

هل السبب ملامحها الخارجية؟.. ولكن لا يوجد في ملامحها أي شيء خارق للعادة..

عيناها ليستا استثنائيتين.. أنفها.. شعرها.. فمها ليس استثنائيا.. ولكنها مع هذا أراها «على بعضها» استثنائية.

في ملامحها شيء لا أعرفه والأشياء التي لا أعرفها تثيرني أكثر.

لها وجه بريء، ومبتسم.. رغم أنها لا تبتسم لحظتها. أصحاب الوجوه المبتسمة طيبون ورائعون من الداخل.. كما أتخيّل.

ما بين انشغالي بالردّ على رسائل الجوّال المتراكمة منذ البارحة.. ومراقبتها بحياء وحذر.. كنت أفكر كيف الطريقة إلى الوصول إليها؟.. لم أفكر بالجنس لحظتها.. كنت أريد امرأة أتحدث معها ومن خلالها أكتشف هذه المدينة أكثر لأنني أؤمن أن كل المدن هي نساء، ولا بد من امرأة تجعلك تكتشف المدينة أكثر... كنت أريد صديقة.. لا حبيبة..

ربما تكون متزوجة، ربما تكون مرتبطة بشكل آخر، ربما لا نمتلك لغة واحدة نستطيع من خلالها المحادثة والتعارف.. ربما يورطني قلبي معها ويسألني عقلي لحظتها: «وما هو دينها»؟!

مضت قرابة الأربعين دقيقة منذ أن جلسنا على هذين الكرسيين أمام الطاولتين المتقابلتين.

بردت قهوتي.. وازدادت حرارة قلبي.

فجأة.. نهضت من مقعدها.. ولملمت أغراضها واتجهت نحو الشرق.

بسرعة أخرجت محفظتي ورميت من النقود ما يزيد عن الحساب منافقة مني لصاحب الابتسامة المنافقة. نهضت من مكاني.. أحسست بربكة غريبة.. وشعرت بأن أقدامي تتلعثم كأنها طفل يريد أن يتحدث!

أتبعها؟.. ولماذا؟.. وماذا سأقول لها؟ وكيف ستكون ردة فعلها؟

كل هذا من أجل ابتسامة عابرة رداً على ابتسامة هي أشبه بخطأ مطبعيّ؟!

وقفتُ على رصيف المقهى وأنا أراها تمضي في الجهة الشرقية للشارع..

ذهبتُ في طريقي إلى ناحية الغرب (وفي القلب شيء لا يمكن وصفه) وكنت ألتفت إلى الجهة الشرقية.. إليها...

أمشي خطوتين.. وألتفت ثلاث مرات!

ابتعدت كثيراً.. بالكاد أراها.

ألتفت للمرة الأخيرة.. أظنها التفتت.

هامش: أنا «مريم».. طبعاً لم أولد حتى الآن!.. ولكنني أتخيّل نفسي ابنةً لرجل شرق أوسطي من امرأة من حوض البحر الأبيض المتوسط. كان من الممكن أن يحدث هذا لو أن الرجل انتبه إليها وهي تقلب في جوالها.. عندما قامت بتشغيل خاصية البلوتوث. كان من الممكن أن يحدث هذا وأكون ابنة هذا الرجل من تلك المرأة لو أن توقيت التفاتتها الأولى أتت مع توقيت التفاتته الأولى.. قبل أن يمضي كلا منهما في طريقه. كان من الممكن أن يحدث هذا لو أن أي واحد منهما تجرأ وفتح الحديث مع الآخر حول أي شيء.. حتى وإن كان حديثاً سخيفاً عن الطقس ذلك اليوم!

الساعة الكونية لم تكن تهتم بهذه التفاصيل الصغيرة ولم تنهي هذه الصدفة الرائعة كما يجب.

أنا «مريم» وحزينة جداً لأنه لم تعمل المصادفة لتوحيد توقيت التفاتته لالتفاتتها.

؟

كانت الأمهات تحذرنا منه.

كان الآباء يضربوننا لمجرد الاقتراب منه.

. . . .

. . . .

عندما كبرت، أصبحنا أصدقاء!

«متعب السعد»

كل الموتى ملامحهم هادئة.

مع «متعب السعد» أول مرة أرى ميتاً.. وغاضباً!

(مسؤول ثلاجة الموتى في المستشفى)

وُلد بسرعة.. أنجبته أمه ولم يدخل حملها له الشهر السابع

وكبر بسرعة.

ومات بسرعة.

(إحدى عجائز العائلة)

«متعب السعد»: أجمل وألطف الرجال الذين عرفتهم في حياتي.

(سطر كتبه اسم مستعار ـ لا يعلم أحد هل هو ذكر أم هي أنثى ـ ونشر في منتدى إلكتروني شهير)

كنت أراهن عليه لمستقبل الكتابة السردية في البلد.. ولكنه خذلني!

(ناقد)

كانت تنبعث منه رائحة كريهة، والعياذ بالله!

(موظف مغسلة الموتى في المقبرة)

الفقيد ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ كان يكفل أحد الأيتام في جمعيتنا وذلك منذ ثلاث سنوات وحتى يوم وفاته.. لا حرمه الله الأجر.

(مدير الجمعية الخيرية)

انشغل في السنتين الأخيرتين بالبحث عن أصل جدنا السابع.. وصار يهوى جمع كتب الأنساب!

(أحد أبناء عمومته)

الله يرحمه.. كان موظفاً سيئاً!

(زميل في العمل)

أراح.. واستراح!

(أحد الأقارب)

سنفتقده كثيرا.

(أحد الأقارب)

كم من حكاية تبحث عنك لترويها؟ كم من «قصة قصيرة» كانت ستأتي على يديك.. ذهَبَت ولم ـ ولن ـ تعود.. لأنه لن يكتبها أحد سواك. كم من «لقطة» ستعبر أمامنا دون أن نراها، ووحدك من يراها ويلتقطها. مات بطل الحكاية في منتصف الحكاية. لم يعد للسرد طعم بعدك يا «متعب السعد». أنت روايتنا الأجمل والتي توقفت عند الفصل الرابع.. دون أن نعرف بقية الحكاية...

(مقطع من نص يرثي متعب السعد نشرته المجلة الثقافية)

متعب؟.. متعب السعد؟!... كأنني أعرف هذا الاسم!... أين يعمل؟!

(واحد)

ـ أنا لم أختر يوم ولادتي، ولا أصلي ولا فصلي، ولا لون بشرتي أو شكل ملامحي، ولا القوم الذين أنتمي إليهم، ولكن.. بإمكاني أن أختار يوم وفاتي وشكل مماتي!

(من إجابة لمتعب السعد في حوار أجرته معه صحيفة الحياة)

عامل سنترال المستشفى المجاور

خرج من مكتبه الصغير دون أن يستأذن من المدير المناوب «كلها دقائق وأعود.. وهذا الوقت من النادر أن تأتي اتصالات لطلب

النجدة» عَبَر الطريق متجها لذلك الحي ليشتري علبة سجائر من السوبر ماركت الوحيدة التي لا تغلق أبوابها بعد منتصف الليل. دهسته سيارة مسرعة قبل أن يصل إلى الرصيف الآخر. تمدد على الإسفلت وقد تهشم فكه وتساقطت أسنانه وأنكسر عموده الفقري.. ودماء كثيرة تنزف منه لا يدري من أين. كان يسمع بعض كلمات العمال الذين خرجوا من السوق «هنا مستشفى قريب».. «لا نستطيع أن نحمله».. «سيتضرر ظهره وأي حركة من الممكن أن تصيبه بالشلل».. «لا بد من حضور سيارة الإسعاف».. «لا أحد يجيب على الهاتف»... «لا أحد يجيب»... «لا أحد يجيب»....

لحظتها كان يتمنى لو أنه يستطيع الكلام، ليقول لهم:

«أنتم تتصلون بي.. يجب أن أكون هناك لأرد على اتصالاتكم»!

(قصة قصيرة لمتعب السعد)

* ملاحظة:

حدث خطأ مطبعي شنيع طوال كتابة هذا النص وتكرر في أغلب السطور..

لم يكن اسمه «متعب السعد».. بل «سعد المتعب»!!

انتظار

يردُّ على جميع الاتصالات:

هذا يسأل عن (محمد عبدالله)

وتلك تسأل عن (سارة حسين)

و..................

....

....

ثلاث سنوات، وسبعة أشهر، وتسعة أيام.. وهو يعمل مأمور سنترال.

يسألونه عن الجميع..

لا يذكر أن أحدهم (ولو بالخطأ) سأل عنه!

حقيبة

تك . . تك . . تـ . . .

(٥)

اكتشفوا وجودها في منتصف صالة المسافرين . .

احتار رجال الأمن فيها . .

وخافوا من الاقتراب منها .

تك . . تك . . تك . . .

(٤)

هناك من قال إنها تعود لمسافر عراقيّ

خبّأ بها بعض الحنين . . وحفنة من تراب البصرة .

تك . . تك . . تك . .

(٣)

وهناك من توقّع (نظراً لكثرة الأختام وملصقات البلدان

وفنادقها المختلفة) أنها تعود لمسافر فلسطيني!

تك.. تك.. تك..

(٢)

لعلها تعود لأحد الكتّاب، وما محتوياتها سوى بعض الأوراق.. مسودة لكتابه المرفوض!

هذا ما قاله الشاب الذي توظّف مؤخرا في الجمرك.

تك.. تك.. تك.. تك....

(١)

قال أحدهم:

ولِمَ لا تكون لرجل أعمال...؟

وأضاف محاولا المزاح:

ألا ترون معي أن «رجل أعمال...» جملة ناقصة؟

لماذا لا نُكمل العبارة، ونحدد:

«رجل أعمال سيئة» أو حتى «رجل أعمال خيّرة»؟

ولم يبتسم أحد!

تك.. تك.. تك.. تك.. تك....

(٥)

تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك

تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك

تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك

تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك

تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك . . تك

انفجاااااااااااااار!

ريـــال

كان يعشق الفتاة المستحيلة والاستثنائية.

بعد مشاهدته لأحد الأفلام الأمريكية لمعت الفكرة في رأسه. أخرج ورقة «الريال السعودي» من محفظته وكتب على ظهرها (إذا عدت إليّ فهي تحبني) ورماه في اليوم التالي على البائع ليشتري به مشروباً غازياً.

في اليوم الثالث صدر قرار ملكي بطبع عملة جديدة وسحب العملة السابقة من الأسواق!

ورقة مُهرَّبة من: «مذكرات داشر سابق»!

(١)

أنا «دحيّم». .

شاب في بدايات العشرينات ـ هذه السنوات التي يصفونها بالروعة ـ ولا أدري وش مروعها؟!

(٢)

لا يوجد لديّ أي شيء يميّزني عن بقية «العيال اللي بالحارة»:

ـ أربع وعشرون ساعة لف بالشوارع.

ـ خلّصت الثانوية العامة بـ«الدف» و«البراشيم». . وفزعة أبو عابد الله يذكره بالخير!

ـ أقضي ساعة يومياً بتلميع «الجيب موديل ٩٦». .

وهذه الهواية هي أحد الأسباب التي جعلت البعض يتهمني بأنني أتعاطى «الحبوب». . رغم أنني حلفت برأس «صويلح الأقرع» بأني عمري ما جرّبت «الحبوب» إلا مرة واحدة، أيام الاختبارات بالثاني ثانوي، وذلك بعد أن نصحني بها أحد «الدشير». . .

طبعاً دخلت الاختبار وأنا «أدودل» رأسي..

وخرجت وأنا «أدودل» رأسي..

و.. رسبت بالمادة!

(٣)

يصفني العيال بأنني «مطنوخ» و«أنحط على اليمنى»..

وإذا حدثت مشاجرة «هوشه» خناقة.. «أطب الميدان» بعد أن أقوم بسحب «العجرا» من سيارتي من مكانها المُفضّل والأمين (تحت كرسي السواق).. أدخل المعركة.. وأخرج منها.. وأنا لا أعرف من هم المتصارعون.. أو الحق مع من وضد من!

(٤)

وكم من مرة يخرجني والدي من قسم الشرطة، بعد أن يصفقني (وفي رواية أخرى: يصكني) «مخمّس» على خدي الأيسر (هو الأقرب إلى يده اليمنى) ويُوصف هذا «المخمّس» في قاموس ديرتنا بأنه:

«راشدي».. «محمودي».. معتبر، «يطشّر المخ تطشير».. ويجعلك ولمدة ثلاثة أيام متتالية تسمع طنين النحل في أذنك اليسرى.

وهذا «الطراق / المخمّس / المحمودي» هو ابتكار شمالي

الأصل والمنشأ، ووحدهم شيبان الشمال هم الذين يمتلكون براءة اختراعه.

وقد تطوّر كثيرا على يد أبي (خاصة يده اليمنى!) وكان حقل التجارب المفضّل لديه هو خدي الأيسر.

ولكن... كله يهون من شان العيال اللي بالحارة.

(٥)

مطربي المفضّل، أي مطرب شعبي يستطيع أن «يخرش» العود، ويقدّم تحاياه المجانيّة للمروّس..

«عاش المروّس»!... وعندما تطوّر ذوقي قليلاً، صرت أقتني أشرطة «خالد عبدالرحمن»، وأي شريط يتم تهريبه عبر الحدود، بعد أن يتم تسجيله في أحد مراقص بلاد الشام!

(٦)

أنا «دحيّم»..

إلى عهد قريب لم أكن أعرف الفرق بين «الشيوعي» و«الشيعي»!..

وكنت أظن أن الفرق لم يكن سوى خطأ مطبعي.

(٧)

. . . .

. . . .

. . . . (*)

(٨)

بعد أن هبّت على العالم رياح التغيير، وعصفت به الأحداث في السنوات الأخيرة، هبّت هذه الرياح على الشلة، وعصفت برؤوسنا الصغيرة، ولأنني الزعيم الواحد والوحيد للشلة (وبوجود ذراعي الأيمن «صويلح الأقرع» وهو منظّر الشلة) تغيّرت اهتماماتنا، وأصبحنا نتعاطى السياسة، وهجرنا قنوات الهشّك بشّك، وصارت «الجزيرة» هي قناتنا المفضلة.

(٩)

وخلال عام واحد:

كدنا أن نتبعثن (وذلك بعد سماعنا لخطاب مدوٍّ من الرئيس السوري) ثم، كدنا أن نتشيّع (وذلك بعد سماعنا لخطاب أكثر دوياً من السيّد حسن نصر الله) وأكثر فكرة سيطرت علينا خلال هذا العام هي أن نعبر الحدود إلى العراق، لننضم إلى إحدى الجماعات المقاتلة هناك (أي: كدنا أن «نتقعدن»!). . . ولكن انتهى هذا

المشروع بعد أن «كفشنا» والد أحد الرفاق (أو: الإخوة!).. وقام بتليين ظهورنا بـ«عقاله الملكي» حتى طارت الفكرة من رؤوسنا!

(١٠)

وفي ليلة ليلاء، غاب فيها القمر النجدي، وهبّت فيها رياح غربيّة غريبة.. اجتمعنا في إحدى الاستراحات ودون أن نشعر.. أصابتنا «الحساسية الجديدة».. ولفرط ما أصابنا من هذه «الحساسية» السياسية.. أخذنا نهرش ونهرش ونهرش.. حتى وصل الهرش إلى المخ.. فتفتق الذهن عن فكرة جديدة...

وفجأة: تلبرلنا!

(١١)

ومنذ تلك اللحظة، تغيّرت علاقتنا مع العالم من حولنا..

فـ«كومار الهندي» البائع في بقالة الحارة، والذي كنّا نتسلى بضربه بالطماطم والبيض الفاسد..

يا ويلك ويا سواد ليلك إذا مديت يدك عليه.. فكومار (آخر) يجب أن نتعايش معه، ونحترمه ونحترم معتقداته... لهذا منحناه عضوية في الشلة تحت مسمى «خبير ليبرالي أجنبي»!

كما أننا قررنا إنشاء جمعية مدنية تهتم بحقوق الأقليات، واقترح «صويلح الأقرع» أن نسميها «نعم للحلوين.. لا للتماسيح».

وإذا غلط علينا واحد من «العيال اللي بالحارة» صرنا نفضّل الحوار معه بدلاً من «العجرا» التي كانت ترتطم بمؤخرة رأسه!

(١٢)

حتى «صويلح الأقرع».. تغيّرت علاقته بالمرأة بشكل ملحوظ، رغم أنه لا يعرف من النساء سوى والدته.. وهي ـ على العموم ـ لم تعد «امرأة» منذ سنوات!!

(١٣)

وحتى يتطابق الشكل مع المضمون الليبرالي..

صار الذي يرانا لا يفرّق بين «قرعة» صويلح ووجوهنا.. التي خلت من الشعر باستثناء الحواجب!

(١٤)

أنا» دحيّم»..

أصبحت وجهاً ليبرالياً سعودياً معروفاً..

ولي أتباع ومريدون، يقاتلون وبشراسة (خاصة عبر الإنترنت) للدفاع عني، ولترويج أفكاري.

وصارت القنوات الفضائية تتسابق لاستضافتي، ولسماع آرائي عند كل حدث.

وكل يوم «بوفيه مفتوح» في إحدى السفارات الأجنبية.

يقف على يميني المُنظِّر العظيم «صويلح الأقرع». . وعلى يساري «كومار»!

وما هذه الأوراق سوى مقدمة لكتابي «مذكرات داشر سابق» الذي سيصدر قريبا عن «رياض الريّس» و«الساقي» رغم أن إحداهما اقترحت تغيير العنوان إلى: مذكرات داشر «سعودي» سابق. . لأن هذا العنوان ـ كما يقول الناشر ـ سيجعله أكثر مبيعاً

(١٥)

أنا «دحيّم» ابن هذه المرحلة. .

وقريباً: سيّد المرحلة.

---

* (٧):

احتار الرواة، والمتابعون، والنقاد، وأهل الرأي في هذه الفقرة وفي الفترة الزمنية التي تمثلها في حياة الأستاذ «دحيّم»، فهناك من يقول إنها تمثّل فترة الاعتقال، وهناك من يقول إنه قضاها في دورة مكثفة في أحد المعاهد في «واشنطن» بعنوان «كيف تصبح ليبراليا على سِنة ورمح»، وهناك من يقول بل قضاها في «أكاديمية تورا بورا» للفنون القتالية. . رغم أن بعض خصومه يلمّحون إلى أشياء تتعلق بهذه الفترة ولا يليق نشرها. . والله أعلم!

الأكيد، أننا لا نعلم السبب الذي جعل الأستاذ دحيّم يتجاوز هذه الفقرة.

حكاية غصن

. . . ، ويقولون :

إن احد الشباب في المظاهرة، قام بانتزاع الهراوة من يد الشرطي، وفي المساء أعادها إلى أصلها : شجرة في غابة .

في الصباح ، بنى أحد العصافير عشّه على أحد أغصانها .



فضة الكلام

لأنني لا أحب «ذهب» السكوت..
اخترت «فضة» الكلام!



أبـواب.. ومفاتيـح!

«كيلو حديد»

كان يحلم: يكون عمود الإنارة بشارع العشاق

أو: قلم.. يركض بحريّة على الأوراق

أو: لعبة.. تلعب بأيدين طفل ف يوم عيد.

قرّر المصنع يحطه: «باب» للسجن الجديد!

(١)

الأبواب المُغلقة تصنع الإشاعات المفتوحة!

(٢)

لا فرق بين هذا «الجدار» وهذا «الباب»..

كلاهما: لا تعرف ما وراءه!

(٣)

هو نفس الباب:

أنت تراه «مدخلاً» وغيرك يراه «مخرجاً».

واختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية.. ولا يخلع الباب!

(٤)

الباب: حلم النافذة!

(٥)

بعض البلاد تضعك أمام ألف باب مغلق..

وتمنحك «مفتاحا» واحدا!

وبعض البلاد تضعك أمام باب واحد..

وتمنحك «ألف مفتاح»!

(٦)

..، وبعض البلاد تضعك أمام عدد لا متناه من الأبواب المغلقة وتضع بيدك «سلسلة مفاتيح» ليس لها أول ولا آخر.. وعليك أن تعيش حياتك كلعبة «يانصيب» خاسرة!..

أو أن تكون لصاً محترفاً تعرف كيف ـ ومتى ـ تكسر الأقفال!!

(٧)

الأبواب الوهمية أخطر وبكثير من الأبواب الحقيقية!

الباب الحقيقي: يتآكل.. يصدأ.. يكسر...

الباب الوهمي: عليك أن «تكسر» العقل الذي ابتكره.. لكي تفتحه!

(٨)

تعرفون «الباب الدائري المتحرك»؟.. هذا الذي يُوجد في مداخل الأسواق الفخمة وفي الفنادق المرصعة بخمس نجوم.

هو: باب حر، ومنظم..

يسمح للجميع بالدخول.. والخروج.

يُعلّم الناس كيف يدخلون ويخرجون بنظام.

لا تستجديه بطرقة أنيقة.. ولا ركلة ثائرة!

لا يوجد أمامه «بوّاب» يرعبك بنظرته الفاحصة.. فللباب «نظام» يحميه.

هذا الباب: هو الباب الذي أحلم به!

(٩)

يا صاحب الباب العالي:

الأبواب لم تصنع لكي تغلق.. بل لكي تفتح.

حـذاء!

قال الحذاء لحذاء آخر:

ـ لماذا ينظر إلينا بعض سكان هذا الشرق بدونية واحتقار؟

ـ ربما لأنهم يدوسون علينا

ـ ولماذا لا ينظرون إلى الأمر: على أننا نحن الذين نرفعهم عن الأرض ونحميهم من الأذى؟!

ـ الذي أستغرب منه أن صاحبي يهتم بي، وعندما ينزعني يضعني في مكان مميز في الخزانة، ويقوم بتلميعي كل يوم.. ومع هذا عندما يتشاجر مع أحدهم يشتمه «يا حذاء»!

ضحك الحذاء الآخر، وقال بمرارة:

ـ هناك ما هو أسوأ.. ألم تنتبه كيف عندما يأتي ذكرنا في حديث عابر، تجد أحدهم يقول «.. الحذاء أعزكم الله»

ـ ومع هذا تجدهم يتباهون بنا أحياناً.. البارحة قال أحدهم لصاحبي الذي ينتعلني «حذاؤك جميل».. رد عليه بشيء من الغرور «نعم.. إنه ايطالي».. تصدق؟.. البارحة فقط عرفت أن جنسيتي إيطالية!

ضحك الحذاء الآخر حتى أنفك رباطه.. وقال:

ـ تحمّل.. قدرك هو الذي جعلك حذاءً رجالياً في قدم شاب مغرور... تخيّل نفسك حذاءً نسائياً!

ـ ويكون لوني أحمر بدلاً من هذا اللون الأسود الرسمي..

ـ نعم..

ـ ويكون لي كعب طويل..

ـ نعم..

ـ وعندما أمشي في الممرات يكون لي إيقاع مميز.. ومثير!

ـ نعم!

ـ أوووه.. لا.. لا..

ـ لماذا؟

ـ سأموت مبكرا

ـ وما الذي يجعلك تموت مبكراً؟!

ـ الأشياء التي أراها.. ستقتلني!.. مَن هذا الذي يرى السيقان الناعمة الطويلة ولا يذوب ويتقطع؟!

ـ أنا لا أرفض أن أكون حذاءً نسائياً في قدم امرأة حسناء، أو حتى حذاءً صغيراً في قدم طفل نزق، أو أي نوع من الأحذية.. فقط أرفض أن أكون «حذاءً رياضياً».. هذا النوع من الأحذية تعيس جداً، وبلا هوية، وليس له مقاس ثابت، وله وقت محدد ويُرمى، ويمارس ضده ـ في التمارين والألعاب الرياضية ـ أبشع أنواع التعذيب.. هل

شاهدت أحدهم يذهب إلى حفلة بحذائه الرياضي؟.. هل سبق لك ـ يا أخا الدعس ـ أن شاهدت أحداً يُلمّع حذاءه الرياضي؟!

ـ دعك من هذا الحذاء الهجين، وقل لي: من أنت؟.. لم أتعرّف عليك بشكل جيّد.. قلت لك إنني إيطالي ولم تخبرني ـ أيها الزميل ـ ما جنسيتك؟

ـ قبل أن أخبرك.. سأحكي لك حكاية

ـ تفضل

ـ يُحكى أن غاندي كان يجري بسرعة للحاق بقطار، وقد بدأ القطار بالسير وعند صعوده القطار سقطت من قدمه إحدى فردتي حذائه فما كان منه إلا خلع الفردة الثانية، وبسرعة رماها بجوار الفردة الأولى على سكة القطار، فتعجب أصدقاؤه وسألوه: ما حملك على ما فعلت؟ لماذا رميت فردة الحذاء الأخرى؟ فقال غاندي: أحببت للفقير الذي يجد الحذاء أن يجد فردتين فيستطيع الانتفاع بهما، فلو وجد فردة واحدة فلن تفيده ولن أستفيد أنا منها أيضاً

ـ يبدو أنك حذاء مثقف.. حسناً.. قل لي ما جنسيتك؟

ـ تركي.

ـ أوه.. نفس جنسية الحذاء الذي انطلق في وجه «جورج بوش الابن»

ـ نعم.. وأكثر من ذلك.

ـ أكثر كيف.. نفس الماركة؟

ـ نعم. . وأكثر من ذلك.

ـ نفس الماركة / نفس المصنع / نفس تاريخ الإنتاج / . . .

ـ نعم. . وأكثر. . .

ـ أخبرني باختصار من أنت؟. . شكلك حذاء إرهابي!

ـ هل تذكر الحذاء الذي انطلق إلى «بوش»؟

ـ نعم.

ـ أنا «الفردة الثانية»!

التوأم الإيراني العجيب.. ومشرط السياسي!

(١)

وُلد نظام ما بعد الثورة في إيران كما يُولد توأم سيامي عجيب: بقلب واحد ورأسين مختلفين!

رأس: محافظ جداً.. يقابله: رأس إصلاحي ينمو بالخفاء.

رأس: يرى أنه خليفة الله في الأرض، وأنه أتى بتفويض إلهي.

ويقابله: رأس أتى بتفويض شعبي.

رأس: يحكم مدى الحياة.

ورأس آخر: يحكم أربع سنوات تحت مراقبة الرأس الأول.

رأس: ولاية الفقيه.. وآخر: نظام ديمقراطي، ولعيب خلقي وسياسي لا يمكن لأحدهما أن يُقّبل الآخر!

أي تناقض هذا؟.. كيف استطاع هذا «الجسد» الإيراني أن يعيش بهذين الرأسين المختلفين تماماً؟!

كانت الأمور ـ تمشي ع البركة.. والمشاكل الخارجية ـ طالما أن الرأس المُنتخب (مثلا: نجاد) ينحني للرأس الأبدي المقدس..

المشكلة عندما (كادت) أن تأتي الانتخابات برأس إصلاحي سيضع رأسه بالرأس الأبدي.

(٢)

ورغم كل التقارير الطبية والسياسية، إلا أن هذا التوأم استطاع أن يعيش طوال السنوات الثلاثين الماضية - وبشكل سياسي عجيب - يقود إيران إلى... إلى جهة غير معلومة!

القلب: ما يزال ينبض بدماء الثورة الإسلامية / الخمينية..

المشكلة بالرأسين - بعد أن كبرا - أصبح كل منهما يُفكر بطريقة مختلفة.

والبلدان لا تُدار بعاطفة القلب الواحد، بل بأفكار الرؤوس المتصارعة.

والأطباء والساسة (الإصلاحيون) والمراقبون متفقون على فصل هذا التوأم..

والأطباء والساسة يعلمون تماماً أن فصلهما يعني: وفاة أحدهما!

(٣)

في «طهران» ستحدث عملية «فصل» كبرى..

ومثل كل العمليات الطبية لا بد من جراح ودماء!

أما عندما يأتي «السياسي» ليقوم بإجراء عملية طبية دقيقة، فكل الاحتمالات مفتوحة:

هل سيواصل التوأم الحياة؟

هل يموت أحدهما، ليعيش الآخر بشكل طبيعي وصحي؟

أم يموت الاثنان معاً؟

(٤)

وزير الصحة السعودي ـ أحد أشهر جراحي فصل التوائم في العالم ـ يتابع ما يحدث بحذر وترقب.. وهذا ما يفعله بقية الأطباء في المنطقة!

آلة حديثة.. ومستخدم تقليدي!

بإمكانك أن تشتري أفخم وأغلى «الساعات» الفاخرة التي أنتجها الغرب..

ولكن هذا لا يعني أنك لحظتها ستعرف «قيمة الوقت» أو معنى «الالتزام بالمواعيد»!

(١)

أبوابنا التقليدية معتادة على تدافعنا في الدخول والخروج..

إذاً: كيف تأتي بباب دائري، متحرك، منظم.. لشعب لا يُجيد الدخول والخروج بنظام؟!!

النتيجة:

- سيُصاب أحدهم بعاهة.

- سينكسر الباب - أو يتعطل - لشدة التدافع

- سيقوم أحدهم بشتم الباب وصانعه.

(٢)

بعض الآلات المصنوعة في الغرب ـ السيارة كمثال ـ لا بد من نزع قطعة منها، مهمتها رفع حرارة السيارة. .

لذلك، لا داعي لها في منطقة حارة أصلاً. . فهي بدلا من أن تكون حلاً (لديهم) هي (مشكلة) لدينا.

الأفكار كذلك. . لا بد من نزع «قطعة» ما منها لتتلاءم مع بيئتنا!

النظريات كذلك. . ما ينجح (هناك) لا يعني أنه سينجح (هنا).

(٣)

الآلة / الفكرة / النظرية: ابتكرها عقل متقدم لمجتمع متقدم.

مجتمع صنعه التراكم التاريخي الطبيعي. . ولم تصنعه «طفرة» اقتصادية عابرة!

لهذا، عندما يلتقي هذا المجتمع التقليدي ـ بعقله التقليدي ـ ويحصل على ما أنتجه هذا المجتمع المتقدم ـ عبر القوة الشرائية ـ فالنتيجة لن تكون: التقدم. .

بل: الفوضى العجيبة!

(٤)

كيف تنقل فكرة «خطوط المشاة» لشارع لا يحترم إشارة المرور؟!

في بلد ـ ونظام ـ لا يحترم «المشاة» أصلاً!

(٥)

قبل أن تفكر بنقل الآلة / الفكرة / النظرية. . أو شرائها. .

عليك أن تفكر بـ «العقل» الحر الخلاّق الذي أنتجها. .

وسيأتي ـ كالعادة ـ فقيه مُقرَّب من السلطان ليقول لك: لا يجوز!

وبدلا من الـ «تفكير» بهذا العقل سيتم «تكفير» هذا العقل. .

ولا تظنوا أن في السطر السابق خطأ مطبعياً. .

بل خطأ في الطباع يتوارثها المجتمع التقليدي.

كائن لا شكل له!

كيف تصنع من المثلث مربعاً دون أن تُغضب الدائرة؟!!

(١)

وُلد، مثل بقية الخلق، بلا شكل واضح!

ويُقال إنه ولد بشكل أقرب إلى متوازي الأضلاع.

(٢)

حاولوا تشكيله منذ طفولته الأولى.. بالشكل الذي يظنونه مناسباً..

لا «الشكل» الذي اختارته الطبيعة له.

(٣)

في المدرسة قالوا له إن «المثلث» أحلى الأشكال وأجملها.

رسموا له: جبلاً مثلثاً وخيمة مثلثة وسنام بعير أقرب إلى المثلث.

(٤)

في المسجد قالوا إنه الشكل الأقرب إلى الصلاح والتقوى . .

وأتوا له بـ «رمح» رأسه مثلث!

(٥)

اشتغل عليه الإعلام والدعاة والأحداث والأجهزة والكتب والشرطة . .

حتى صار شكله ـ دون أن يعي ـ أقرب إلى المثلث!

(٦)

لا يدري إلى أي الأشكال المثلثة ينتمي . . كان يظن أنه مثلث قائم الزاوية . .

ولكن، كل الأشياء حوله تُشير إلى أنه مثلث حاد الزاوية . . والطباع أيضا!

(٧)

بعد سنوات من «التسطير» إنقلب عليه الجميع، وقالوا له :

ـ «المثلث» شكل متطرف وحاد . . عليك أن تبحث عن شكل آخر .

أقنعوه بأن «المربع» جميل . . وواضح . . وصريح . .

قال: أليس «المربع» شكل كفري؟!

قالوا: لا - يا رعاك الله - فالكعبة أقرب إلى الشكل المربع..

حاول أن يصبح «مربعا» ولم يستطع.. وأراد أن يعود «مثلثاً» ولم ينجح.

ومنذ ذلك اليوم وهو «دائرة» لا يَعرف أوله من آخره..

ولا يدري إلى أين ستدور به الدوائر!

(٨)

الآن: الشكل الهلامي - الشكل الذي لا شكل له - هو سيّد الأشكال!

رغم أنف الهندسة المعمارية.. والهندسة الجينية.

(٠)

يقول مصدر «غير مسؤول»:

نفس الأشخاص والمؤسسات التي اشتغلت على رسم «المثلث» تعمل الآن على صناعة «المربع».. و«الدائرة» تتفرج بصمت!

الحياة حلوة

قال لي: طوال الوقت وأنت مبتسم.. لم تفقد هذه الابتسامة حتى في أقسى اللحظات!.. كيف تفعل هذا؟

قلت: أنا متصالح مع نفسي.. ومن ثم أنا متصالح مع الحياة.. والعالم. تصالح مع نفسك وستكتشف الفرق.

قال بتذمر: هكذا ببساطة!.. وماذا أفعل بالقولون والسياسة والفواتير؟!

قلت: يجب أن تنظر للعالم بشكل مختلف.

قال: كيف؟

قلت: انظر للأشياء التي بين يديك، ولا تشغل نفسك بأشياء الآخرين وكيفية الحصول عليها. حاول أن تحتفي بما تمتلكه.. وانظر حولك ستكتشف أنك تمتلك الكثير...

قال: نعم.. أمتلك فواتير وأقساطاً لم تسدد حتى الآن!!

قلت: تمتلك الحياة بأكملها.. ولكنك لا تراها.. ولا تشعر بها..

قال: كيف؟

قلت: لنفترض جدلاً أنك أُصِبْتَ ـ لا سمح الله ـ بألم فظيع وصداع مزعج في رأسك. حاولت أن تقضي عليه بالمسكنات ولم ينفع. ذهبت في اليوم التالي إلى المستشفى. أجروا لك كل الفحوصات لمعرفة السبب.. وأخيراً قرروا إرسالك إلى غرفة الأشعة المقطعية. بعدها اجتمع حولك الأطباء بملامحهم المضطربة ليعلنوا لك الخبر/ الصاعقة: «هنالك ورم خبيث في رأسك»!

وأنت تمشي في ممر الخروج البارد، وبالكاد تجر قدميك، تعود حياتك أمامك كشريط سينمائي يعبر بسرعة «يالله.. كم من الأشياء الرائعة التي فاتتني.. وكم سيفوتني مستقبلا!»:

ضحكة أصغر أطفالك، صلاة الفجر.. والتي قررت أن تعدل نظام نومك لكي تصليها.. ولم تفعل، قراءة كتاب جديد ومشاهدة فيلم رائع، تقبيلك لجبين أمك، التصالح مع أحد الأقارب، رؤية أولادك وهم يكبرون أمام عينيك، إنهاء بعض العداوات الصغيرة، أكل المزيد من الشوكلاته والآيس كريم، سماع محمد عبده وهو يغني: أعن له عنت هل الكيف للهيل، الجلوس أمام البحر، الذهاب إلى الصحراء، مشاهدة أهداف «ميسي» في كأس العالم، ....، ... وآلاف آلاف الأشياء التي كانت بين يديك ولم تنتبه لها.

وقبل أن ينتهي الممر، وتصل إلى باب الخروج، تسمع أحدهم ينادي باسمك.

يصل إليك لاهثا ومرتبكاً، ويقول لك بتلعثم: «أعتذر لك سيدي، حدث خطأ كبير في الأوراق، فالتقرير الذي معك هو

لشخص آخر.. أنت لا تعاني سوى من التهابات في الجيوب الأنفية»!

وبدلاً من أن تثور في وجهه بسبب هذا الخطأ القاتل تقوم باحتضانه وشكره.. كأنه منحك الحياة.

لم يمنحك الحياة يا صديقي، بل الذي منحها لك هو الله سبحانه، وهي موجودة لديك لم يأخذها أحد منك، ولكنك خلال ركضك في الحياة.. نسيت الحياة نفسها!

نعم.. عليك أن تقاتل لكي تكون هذه الحياة أجمل وأكثر عدالة.. ولكن لا تنسَ أن تعيشها.

يقول فريد الأطرش: «الحياة حلوة.. بس نفهمها».

وأنا أقول لكم: نفهمها، أو لا نفهمها، ستظل الحياة حلوة.. وقصيرة جداً جداً.

مقال شائك.. وملخبط!

(٣)

كنّا نتجادل أنا وصديقي عن الناس وأخلاقهم. ما الذي يجعل أحدهم يتحوّل من إنسان إلى كائن مشوّه؟.. يكذب.. ويزوّر.. ويرتشي.. ويتملق لكي يصل إلى ما يريد أن يصل إليه.

كان صديقي يُصرّ على أن أي مجتمع هو «عجينة» تحدد شكل «خبز» أخلاقه السلطة.. أي سلطة حوله... قلت له: ولماذا تجد بين هذه المجموعة إنساناً نبيلاً لا يتصف بصفاتها السيئة ولم يُعجن.. ولم «يُخبز» بالطريقة التي تراها؟

قال لي: هذا استثناء.. والاستثناء لا ينفي القاعدة بل يثبتها.

الحديث مع صديقي يجرني إلى مناطق خطرة.. تتحوّل فيها السطور إلى أسلاك شائكة..

والمفردات مفرقعات.. وأخاف أن تنفجر في وجهي فاصلة أو علامة تعجب!

(٤)

صديقي يُصرّ على أن عيوب أي شعب ـ في أي زمان ومكان ـ

تكون السلطات القابضة عليه ـ أياً كان شكلها ـ هي شريكة فيها. . بل هي التي تصنعها أحياناً!

مثل هذا التفكير مُريح لنا كأفراد، فهو يُبعد المسؤولية عنا ـ وحسب قانون: الناس على دين ملوكها ـ سنمارس أخطاءنا بضمير مرتاح.

(٢)

لنقترب أكثر من الأسلاك الشائكة:

ـ من الذي يؤثر على الآخر ويشكله: المجتمع أم السلطة؟

ـ أليست هذه السلطة (دينية/ قبليّة/ اجتماعية/ سياسية) هي جزء من هذا المجتمع. . ونتيجة طبيعية له؟!

ـ وإذا كان هنالك خلل ما. . أيهما سيكون مصدر هذا الخلل:

السلطة. . أم المجتمع الذي أنتج هذه السلطة؟!

ـ وهل «أخلاق» السلطة. . تصبح مع مرور الوقت هي «الأخلاق» الرائجة لدى المجتمع؟

ـ ومن أين يبدأ الفساد: من «بيضة» المجتمع. . أم من «دجاجة» السلطة التي تبيض ذهباً لجهة ما، وجبروتاً لجهة أخرى؟

(١)

أنا وصديقي تجادلنا كثيرا. . وكثير من فقرات حوارنا كُتبت بالحبر السري!

هو يُطالب عسكري المرور بتنظيف الشارع للمارة، وأنا أقول إنه على أهل الشارع أيضاً المحافظة على نظافة شارعهم. . ولكن. . الأكيد: كلانا نتفق على أن «الشارع» غير نظيف!

(٠)

ملاحظة مهمة:

عزيزي القارئ. . إذا لم تفهم المقال، أرجو منك أن تُعيد قراءته مرة أخرى.

أما إذا فهمته من القراءة الأولى ـ فلا حول ولا قوة إلا بالله ـ فلا بد أن هنالك خللاً ما في رأسك!!

تعالوا.. لنُكمل هذا «التمثال»!

أنظر إلى هذه الورقة البيضاء..

ولا أدري ما الذي سأكتبه فيها!

بياضها يستفزني.. أحب أن أراها مُلطخة بالحبر، والبحر، والرحب من الأشياء.

أراها أحياناً مثل «صخرة» وأتعامل معها مثل «نحّات» يحفر البياض ليكتشف الوجه المُخبأ داخلها.. وأتخيّل «التمثال» الذي لم يُخلق حتى الآن:

مرة.. أتخيله طائراً حراً، أطلق جناحيه في فضاء حر.

ومرة أتخيله وجه مواطن بائس طحنته الحياة.

ومرة يأتي بملامح «شرطي».. وأحياناً «لص» يدّعي الظرف!

ومرة يأتي على هيئة «مسؤول» مهم... ولا تستطيع إنجاز عمل، ويبقى «التمثال» ناقصاً في بعض تفاصيله!

وفي كل هذه المرات، تشعر بأن «العيون» تراقبك:

عين تنظر لك بريبة دائمة.. كأنك مشروع مجرم يهدد الأمن والنظام العام.

وعين لها نظرة بوليسية مخيفة، تريد أن تخترقك لتكتشف لون دمك!

وعين تبحث بين الكلمات ـ عن «بنات» أفكارك ـ وما إذا كانت إحداهن قد قامت بخدش الحياء العام؟ . .

ولا يبحثون عن «أولاد» أفكارك. . رغم أنهم ذكوريون جداً!

وعين تحاسبك على «النوايا» التي لا يعلمها إلا الله. . وتدّعي أنها تجيد قراءة ما بين السطور. .

وقراءة الكف. . والفنجان. . والطالع!

وعين لها نظرة ثاقبة. . وعين لها نظرة مثقوبة!

وعين «تنظر» فقط. . وعين تنظر و«ترى»!

وهنالك عين الشيخ، وعين القبيلة، وعين شرطي المرور، والعين المُصابة بالحول المؤدلج، والعين المُصابة بعمى الألوان. . والفرح، وعين. . وعين. . . وعين. . . . .

تشعر بالاختناق: «ما أكثر العيون»!

كأنّ الأكسجين حزم حقائبه، وسافر إلى كوكب آخر.

تصرخ في الفضاء: يا الله. . ياااااا الله. . قليلاً من الهواء. .

لكي أستطيع أن أكمل عمل هذا «التمثال». . وأعدك يا رب حين الانتهاء منه أنني سأكسره ليستريحوا جميعاً. . .

حريـة الضجيـج!

(١)

من حولي ضجيج رائع.. ولكنه يبقى «ضجيجاً»!

يبدأ الضجيج حول «قضية رأي عام» ما...

تعلو كافة الأصوات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، دون أن تمر على الوسط!

بعد فترة تخفت الأصوات.. أو يسرقها «ضجيج» آخر، يتجه صوب «قضية رأي عام» جديدة!

(٢)

«الضجيج» يسيطر على كافة المنابر، و«الهدوء» العاقل لا منبر له!

(٣)

لـ «الضجيج» نجومه وأبطاله

تلفَّتوا حولكم.. ستعرفونهم واحداً.. واحدة...

جميعهم يقفون بجانب الضجة (أياً كان مصدرها) ليلتقطوا الصور التذكارية معها!

(٤)

الهدوء.. يحتاج إلى الكثير..

«الضجيج» يكفي لإتقانه أن تمتلك موهبة الصراخ!

(٥)

حرية الضجيج، تقول لك:

اصرخ كما تشاء.. والوضع سيظل كما هو!

لن يُسجن السارق، ولن يُقدم الفاسد للقضاء، ولن يتغيّر المسؤول.

(٦)

الضجيج: مُخدِّر!

يُشعرك أن الأشياء تتحرك، وهي ثابتة.

يُشعرك أن الأشياء تتغيّر، وهي جامدة.

يُشعرك أن (البلد ماشي.. والشغل ماشي.. ولا يهمك...)!!

(٧)

تعالوا لنستعيد كل «ضجة» حدثت خلال هذا العام، أياً كان شكلها ومضمونها واتجاهها... ما هي النتيجة؟... لا شيء!!

هذه بالضبط هي «حرية الضجيج»..

قل كل شيء، ولن تحصل على أي شيء!

(٨)

في «حرية الضجيج» نتباهى بارتفاع السقف قليلا!..

وننسى أن نسأل:

أين هي هذه «الأعمدة» التي ترفع هذا «السقف» وتحميه؟!

هذا السقف المُرشح - في أي لحظة - للسقوط على رؤوسنا جميعاً.

(٩)

و..

كل «ضجة» وحناجركم بخير!

العرب المستمركة.. مرة أخرى!

(١)

أكثر ما يغيظني عند الأزمات هم «العرب المستمركة»:

إذا قام مواطن عراقي مقهور بضرب مجرم أرعن بـ «الجزمة»..

قالوا: هذا تصرف غير حضاري.

وإذا انتفض أهل «غزة» المحاصرون / الجوعى / المحتلون من أسوأ وأقذر احتلال عرفه التاريخ..

قالوا: هذا تصرف «غير مسؤول»!

وإذا دخل جندي المارينز غرف نومهم..

قالوا: «إيزي.. نو بروبلم»!

(٢)

تحدثهم بلغة عربية..

يقولون عنك: إنك من بقايا «القومجية» العرب.

تحدثهم بلغة القرآن..

يصفونك بـ: «الإسلاموي» / الإرهابي / المتطرف..

لا أدري بأي لغة يريدونك أن تتحدث معهم،

أظنهم يفضلون اللغة الإنجليزية بلكنة أهل «تكساس»!

(٣)

سيقول لك بعضهم:

«حماس» تريد أن تنقضَّ على السلطة!

قل لهم: يا سلام!.. يحق للقومي والشيوعي والبعثي والمتأمرك والمعتدل والمعوجّ أن «ينقضَّ» على السلطة.. ولا يحق لـ «حماس»؟.. وذكّرهم:

أنها لم تأت على ظهر دبابة.. بل أتت عن طريق صناديق الاقتراع.

سيقول لك بعضهم:

«حماس» إيرانية.. خطفت القضية من العرب وسلمتها للفرس!

قل لهم: ولماذا تتركون اللاعب الإيراني يلعب وحده؟..

لماذا لا تكونوا بمهارة هذا اللاعب الذي سرق منكم الملعب والجمهور؟!

ثم.. هل كنتم تنتظرون من «حماس» أن تتحوّل أمريكية؟!

هذه فنتازيا لم ـ ولن ـ تخطر على عقل أكثر الفنانين جنوناً في العالم!

سيقول لك بعضهم:

هناك «عملية سلام» واتفاقيات عليها أن تحترمها..

قل لهم: ٢٠ عاماً من الاجتماعات والمباحثات والاتفاقيات والمعاهدات من أوسلو إلى كامب ديفيد الثانية إلى خارطة الطريق إلى المبادرة العربية.. إلى.. إلى... ما النتيجة؟!

سيقولون لك، ودون خجل:

«حماس» هي السبب في كل ما يحدث. وبسبب مغامراتها وتهورها قتلت آلاف الفلسطينيين، و...

قاطعهم، وقل لهم: تباً لكم!..

هذا التبرير يخجل أن يقوله أقذر صهيوني على وجه الأرض!

ستون عاماً والدم الفلسطيني مستباح.. هل كانت «حماس» السبب؟

ستون عاماً والأرض محتلة.. هل كانت «حماس» السبب؟

ستون عاماً والناس محاصرون وجوعى.. هل كانت «حماس» السبب؟

عشرات الاجتماعات والاتفاقيات السلمية و«الاستسلامية» ولم يتغيّر شيء على الأرض.. هل كانت «حماس» وفصائل المقاومة الأخرى هي السبب؟!

(٤)

على فكرة:

هذا لا يعني أن ما يُسمى بـ«دول الممانعة» أنها «أشرف من الشرف نفسه» أو أنها ستخرج

أسلحتها الصدئة من مخازنها!.. لا.. كل ما في الأمر أن الجميع - ولا أستثني أحداً - يتاجرون بدم أطفال «غزة».. كل على طريقته!

لم نسمع أن فنون الخطابة قد استطاعت أن تحرر شبراً واحداً أو أنها قتلت مجندة إسرائيلية شقراء!

(هل قلت «قتل مجندة»؟!. أستغفر الله)!!

(٥)

تقول كتب التاريخ: إن العرب ينقسمون إلى عرب عاربة وعرب مستعربة.

وإن العرب العاربة انقرضوا.

يقول الحاضر: إن العرب المستعربة في طريقها للانقراض..

ولم يبق إلا العرب «المستمركة»!

كائن هلامي

(١)

أنت الآن هذه المادة «الهلامية» التي يشارك الجميع بتشكيلها. . إلا أنت!

كل المنابر (صحف ـ قنوات فضائية ـ مواقع إلكترونية) تشارك الآن بإعادة تشكيل ملامحك. . وأنت آخر من يشعر بهذا الأمر!

(٢)

في المشهد السياسي ـ على سبيل المثال:

بالأمس، وقبل سنوات قليلة، لم تكن تعنيك «المذهبية» بشيء. . بل إنك لا تعرف ما الذي تعنيه هذه الكلمة الغريبة. . الآن لديك موقف منها!. . كيف حدث هذا الأمر؟. . لا تدري!

بالأمس. . كانت «فلسطين» قضيتك الكبرى. . الآن تسخر من صاحبك عندما تنتفض كلماته لأجل «القدس» أمامك!

(٣)

من أنت؟.. كائن هلامي، بلا شكل واضح!

لم تعد «المثلث» ولا «المربع» ولا «المستطيل».. صرت شكلا بلا شكل!

هنا «مشهد» كبير.. لم تشارك بإخراجه ولا مونتاجه ولا كتابة السيناريو له..

ولست سوى «كومبارس» صغير جدا في مشهد كبير جدا!

(٤)

من أنت؟

هل فكرت بشيء اسمه «هوية»؟.. ما هي هويتك، وإلى أين تنتمي؟!

وهذا الضجيج الذي يدور حولك ـ ويشارك بتشكيلك ـ هل يشبهك؟

وهذه «الموضات الفكرية» التي تبرز كل عقد.. هل تشبهك؟.. هل لك علاقة بها؟

لماذا تسلّم «رأسك» لهذا الضجيج؟

لماذا تقبل أن تتحوّل إلى حقل تجارب لأي مشروع جديد؟!

(٥)

- تحرر من الأشياء التي تعتقل عقلك.

- الحديث الصاخب لا يعني انه حديث حقيقي.. والأعلى صوتاً لا يعني أنه الأصدق.

- كل فترة حاول أن تنفض ما تبقى في رأسك من غبار الكلمات.

- كن أنت!.

حرّروا العصافير من أقفاصها..
وغنّوا للحب!

كل الذين «يتبجحون» بعداوتهم للمرأة هم: رجال أغبياء..

وكل الرجال الذين يكرهونها هم: مرضى، وبحاجة للذهاب إلى أقرب عيادة نفسية!

الحب.. ما هو الحب؟

هل هي (الأرواح: تلك الجنود المجندة) تلتقي لتتكامل؟

أم هو هذا الضلع ـ القريب من القلب ـ والذي انتزعته حواء من صدر آدم..

يعود إليه بعد غياب ويجد مكانه الآمن؟

أم هو هذه العلاقة العابرة التي نشتعل بها.. ثم ننطفئ؟!

لا.. الحب: يضيء ولا ينطفئ أبداً.

ما هو الحب؟

هو هذا الشعور الذي يمنحك عيونا جديدة

ترى فيها العالم بشكل جديد وجميل ومختلف.

يمنحك أصابع تلمس كل الأشياء.. وتقبض على كل اللحظات الجميلة.

يمنحك أجنحة تجعلك تطير في كل الفضاءات الساحرة.

ما هو الحب؟.. الإجابة: هو الحب.

ولماذا الحب؟.. الإجابة: لأنه الحب.

فالتبرير الوحيد للحب.. هو الحب نفسه.

تذكروا وجوه حبيباتكم، وعودوا للقرآن العظيم، لتجدوا هذا

الوصف الدقيق: (.. لتسكنوا إليها)

المرأة: هي السكن.. والسكينة.

المرأة: هي البيت.

المرأة: هي الوطن.

وغيابها عن المشهد يعني أنك تعيش في غربة خانقة!

فتبّاً لكل قلب لا ترفرف عصافير الفرح خارج قفصه الصدري عندما يراها!

الرجال في الشرق، ولأسباب لا علاقة لها بالحب:

لا يتزوجون حبيباتهم، ولا يحبون زوجاتهم!

التباسات الملابس!!

(١)

الحريّة: ليست «عُرياً»..

الحرية: أن ترتدي من الملابس (والأفكار) ما تشاء..

وعلى الآخرين احترام ذوقك في ما ترتديه.

(٢)

هذه تتباهى بأنها «تلبس» بشكل رائع

وهذه تتباهى بأنها «تخلع» بشكل رائع!

(٣)

في زمن العري لا نهتم كثيرا بنوع أو شكل أو لون الملابس

المهم أن نلبس أي شيء يستر عورتنا أمام التاريخ!

(٤)

«الهوية» حتى في الملابس. .
فحافظ على هويتك بكافة أشكالها.

(٥)

إنهم يلبسون «الحرير». . و«دودة القز» عارية!

(٦)

لا أحب «ربطة العنق». . تذكّرني بالمشنقة!

(٧)

في الألفية الثالثة (ولأسباب كثيرة) باع العرب الكثير من ملابسهم لدكاكين «الملابس المستعملة» في السوق السياسي!

(٨)

«الحجاب»: فكرة. . قبل أن يكون قطعة قماش.

(٩)

لبس العرب «العقال» الأسود فوق رؤوسهم حزنا على سقوط الأندلس

ومنذ ذلك التاريخ:

و «العِقل» تتراكم فوق رؤوسهم.. و«العَقل» يخرج من رؤوسهم بسبب وفرة النكسات والهزائم.

(١٠)

في بلادنا:

هناك وزارات بـ«عقال» ووزارات بدون «عقال»..

لذا عليك قبل أن تفكر بنقد أي وزارة أن تعرف حجم «الفولتات» المنبعثة من أي «عقال» وزاري.

(١١)

الجمهور أصابه اللَبس من ملابس هذا الكاتب:

ينظرون إلى «قبعة الكابوي» فوق رأسه، ويقولون: إنه ليبرالي.

ينظرون إلى «البشت» فوق كتفيه، ويقولون: إنه خوي.. ومرافق لرجل مهم.

لا يعلمون، هل هو «خوي» منفتح على الآخَر

أم ليبرالي منفتح على الآخر؟!!

(١٢)

احترفَ التعرّي، حتى إنه لم يكتف بنزع ملابسه فقط
بل قام بنزع جلده أيضا!

(١٣)

يقول الناطق الرسمي: هذا الخبر (عارٍ) من الصحة.
ولا تدري أيهما أكثر عرياً: الخبر.. أم الناطق الرسمي؟!

«رجل الشارع».. والنخبة!

(١)

«رجل الشارع» كلمة هُلامية، مثلها مثل «القارئ»:

كلتاهما تتحدثان، أو تصفان «شيئاً» لا تستطيع أن تُمسك بأطرافه!

(٢)

«رجل الشارع»: كائن هُلامي.. تصنعه «النخبة» وتنفخ فيه الروح، لكي يساندها في حرب التغيير. والحقيقة أن «رجل الشارع» مشغول بلقمة عيشه، وينتظر راتباً آخر الشهر!

(٣)

آمنت أن «التغيير» لا يصنعه «رجل الشارع» ولا «الشعب» ولا «الجماهير»..

تلك التي لا تستطيع تغيير نتيجة مباراة كرة قدم!

التغيير: تصنعه «النخبة».. سواء كانت داخل «المؤسسة» أو خارجها.

والتغيير من داخل «المؤسسة» ـ أي مؤسسة ـ يكون أسرع وأقل ضرراً!

«رجل الشارع» هنا ليس سوى: وقود!

(٤)

في كل حركات التغيير ـ أياً كان اتجاهها ـ الذي يصنع «التغيير» هم النخبة..

و«رجل الشارع» لم يكن سوى «الكومبارس» أو «خلفيّة» لمشهد جميل ومؤثر!

وفي الحالات القليلة التي صنع فيها «رجل الشارع» التغيير..

كانت النتيجة أنه استبدل الفوضى بفوضى أكبر!

(٥)

«المؤسسة» ـ أي مؤسسة ـ يُفزعها أن تفقد امتيازاتها، وتدافع بشراسة عن مصالحها، وذلك عندما تهبُّ عليها رياح التغيير. في هذه الحالة أمامها خياران:

إما أن تغلق النوافذ والأبواب وتُصاب بالتآكل من الداخل إلى الدرجة التي تهدد بانهيار السقف على رأسها.. ورأس منسوبيها!!

أو أن تفتح الأبواب والنوافذ لهذا «الهواء الجديد» وتستوعبه، وتتعامل معه بحكمة

وعلى الأقل، سيقوم بطرد الأتربة المتراكمة في ممراتها!

(٦)

«رجل الشارع» باختصار: هو رجل لا يُعوّل عليه سواء كان ك.. أو ضدك.

هذه هي الحقيقة.. حتى وإن أغضبته!

الأغلبية «الصارخة»
والإعلام الأصم الأبكم!

اعتدنا في مجتمعاتنا العربية على وصف الغالبية من الشعب بـ «الأغلبية الصامتة»، وهي ـ في الحقيقة ـ لم تكن «صامتة» بل «هامسة» تخاف أن تسمعها آذان الجدران، لأن المثل (والذي يُخيّل لي أن مبتكره رجل مباحث) يقول: «الجدران لها آذان». . لهذا كانوا يكتفون بالهمس!

خلال العقد الماضي: عقد ثورة وسائل الاتصال وتعدّد منابر التعبير، ومع ظهور الابتكارات الساحرة، مثل: الانترنت، الجوال، الفضائيات. . علا صوت هذه «الأغلبية» حتى وإن كانت تختفي وراء «نكتة» يتم تداولها عبر رسالة جوال ولا يُعرف قائلها. . أو تختفي وراء اسم مستعار في منتدى إلكتروني.

عقد من الزمان تطوّرت فيه أساليب الناس، وصارت بعض «الأسماء المستعارة» في بعض المنتديات الالكترونية أكثر شهرة من بعض الأسماء الحقيقية التي تكتب في الصحف الرسمية. . بل إنها أحياناً تحظى بقبول أكبر.

صار بإمكان «الأغلبية» وعبر كاميرا الجوال أن تُوثق بعض الأحداث التي لم - ولن - تستطيع كاميرا التلفزيون الرسمي التقاطها. . و«اليوتيوب» يتكفل بعرضها للملايين دون وساطة من أحد.

«الأغلبية الصامتة» لم تعد صامتة ولم تكتف بالهمس. . بل إنها صارت الأغلبية «الصارخة».

«الأغلبية» صار لها صفحة على «الفيسبوك» تطرح من خلالها ما تشاء من أفكار.

«الأغلبية» صار لها عضوية في منتدى إلكتروني تستطيع من خلالها أن تشكل الرأي العام أكثر مما يفعله كاتب رسمي، أو وسيلة إعلام رسمية.

«الأغلبية» صار لها قناة على «اليوتيوب» تصوّر - وتفضح - وتعرض من خلالها ما تشاء من المشاهد.

وعبر «القروبات» يتشكل مجتمع مدني مصغّر يطالب بحقوقه، ويجمع الأنصار عبر رسالة إلكترونية واحدة تصل إلى الملايين بضغطة زر واحد.

لم تعد «الأغلبية» تنتظر ما يقوله لها التلفزيون الرسمي أو الإذاعة الرسمية تجاه أي حدث يحدث. . بل إنها استبدلتهما بآلاف المصادر المختلفة، وصارت تختار - وتصدّق - ما تشاء من الروايات، بدلاً من الرواية الواحدة التي كان يقدمها الإعلام الرسمي.

على الإعلام الرسمي العربي أن يستوعب ما يحدث حوله، فمنع كاتب من الكتابة لن يمنعه من إيصال صوته وأفكاره إلى الناس،

والأفكار التي طرحت ـ ومنعت ـ قبل ألف عام (قبل: المطبعة والإذاعة والجريدة) استطاعت أن تصل إلى الناس وعبرت الزمن لتصل إلينا في عصرنا هذا.. فما أغبى المنع في زمن (الانترنت والجوال والفضائيات).

كيف تمنع كتاباً من النشر وأنا بإمكاني أن أرسله ـ كاملاً ـ عبر رسالة وسائط هاتفية إلى آلاف الأشخاص؟

كيف تحجب منتدى إلكترونيا وبإمكان ولد في الثالثة عشرة من عمره اختراق حجبك؟!

كيف تمنع مشهداً من العرض والجميع بإمكانه عرضه خلال دقائق عبر الانترنت؟

كيف تمنع «الحقيقة» من أن تصل إلى الناس؟.. والحقيقة لا تموت، وستصل ذات يوم!

طرحي لهذه الأسئلة يجعلك تشعر أن «الإعلام الرسمي» يعيش خارج الزمن.. خارج التاريخ ـ وهذه هي الحقيقة ـ وأنه لم يستوعب ما يحدث حوله.

على الإعلام الرسمي العربي، ومن ورائه أصحاب القرار في العواصم العربية، أن يستوعبوا هذا العصر، وأن يكونوا جزءا منه، وبدلاً من الانشغال بالمحاولات العقيمة لمجابهته عبر طرقهم البدائية.. عليهم أن يستقبلوه ويقبلوه ويتعلموا كيفية التعامل معه.

وتذكروا: الأغلبية الصامتة صارت «الأغلبية الصارخة» وهي تتشكل كـ «شعب افتراضي» على شاشات الانترنت بطريقة لم ولن

تتخيلوا مداها وقوتها، ولم ولن تتنبأوا كيف سيتطوّر هذا «الشعب الافتراضي» وما هي خطوته القادمة!

المخيف ـ وفي لحظة تاريخية ما ـ أن يخرج هذا «الشعب الافتراضي» من شاشة الكمبيوتر لينزل فجأة إلى الشارع!!

على فكرة: «نشرات الأخبار» في التلفزيونات الرسمية لا يتابعها أحد.. هذه حقيقة! لذلك أقترح على وزراء الإعلام العرب إلغاء نشرة الأخبار وفصل المذيعين وتوفير مرتباتهم لميزانية الدولة.. أو تحويلهم لبرامج المسابقات!

عن «هوليوود».. عن روسيا..
عن ملامحي المشبوهة!

«يا ليت الدنيا: سينما

وكل المشاهد تنتهي بأعراس

بس ما تكون إنتاج أمريكي.. ولا نكون كومبارس!»

(١)

في مراهقتنا العمرية ـ وإن شئتم: في مراهقتنا الفكرية أيضاً! ـ كانت هوليوود أحد أكبر مصادرنا الترفيهية.. وليت الأمر توقف عند الترفيه فقط.. بل تجاوزه حتى أصبحت هوليوود للكثير من مراهقي العالم مصدراً مهماً من مصادر التثقيف والوعي والمعرفة!

كان الإعلام الأمريكي ـ ورأس حربته هوليوود ـ يسابقون ساسة البيت الأبيض في صنع الأعداء لأمريكا، وإقناع الرأي العام بهؤلاء الخصوم.

وكانت هوليوود تروّج للعالم النموذج الأمريكي «الخيّر»:

ـ فـ «السوبرمان» و«الوطواط» و«الرجل العنكبوت» هم رجال أمريكيون

ـ والجندي الذي يبيد كتيبة بأكملها، ولا يحدث له سوى خدش صغير على خده، هو جندي أمريكي!

ـ والرجل الذي يُبطل مفعول القنبلة النووية «في آخر ثانية!» وينقذ العالم من الدمار الشامل، هو جاسوس أمريكي.. أو حليف له: مثل العميل السري البريطاني (٠٠٧) جيمس بوند!.

هذا لا يُلغي أن هوليوود كانت تقدم الترفيه بشكل مبهر وممتع، وأنها قدمت الكثير من الأفلام الإنسانية الرائعة.. ولكنها كانت ـ أيضاً ـ مصدراً لتغيير الحقائق وتشويهها، فعندما كانت تُقدم «الأمريكي» على أنه النموذج الأفضل للإنسان الخيّر الذي يُبيد مدينة بأكملها، وفي المشهد الثاني: يبكي بشجن عند قبر صديقه!.. لا بد لهذا النموذج من نموذج مقابل ـ نقيض ـ هو نموذج «الشر».. وطوال سنوات طفولتنا ومراهقتنا، كان هذا النموذج موجود في «روسيا»!

كانت روسيا (التي تروجها هوليوود) باردة.. ليس في طقسها فقط.. بل حتى في علاقاتها الإنسانية.. كانت مركز الشر في العالم ومملكته المتوّجة.

كانت ملامح الروسي (الهوليودي) مفزعة.. ولا تدري متى يستل سكينه ليطعنك!

كان هذا الروسي هو نفس الشخص الذي يُجهز القنبلة ليبيد العالم

ـ لولا عناية الله ـ ومتابعة المخابرات الأمريكية ورجالها الأفذاذ الذين ينقذون العالم ـ وكالعادة ـ في آخر لحظة!

(٢)

روسيا ليست ضابط مخابرات فقط ـ كما تقول هوليوود دائماً..

روسيا: ديستويفسكي وبوشكين وتولستوي

روسيا ليست جاسوسة مزروعة في فراش «بطل» أمريكي لتشغله عن إنقاذ العالم!

روسيا: وكما يقول خبراء الحُسن والحزن فيها أجمل نساء الأرض، وأكثرهن لطفاً

روسيا ليست هذا العالِم المشغول بصناعة القنبلة النووية وبيعها في أقرب سوق سوداء.

روسيا: آلاف العلماء والأطباء والعباقرة الذين قدموا الكثير للبشرية.

روسيا: ملايين الناس البسطاء الذين يجابهون البرد القارص كل صباح ليذهبوا إلى أعمالهم ويعودون آخر النهار.. بعضهم: معه وردة لحبيبته.. وبعضهم: معه رغيف خبز لأطفاله الجوعى

روسيا: ليست باردة..

الباردة هي أفلام هوليوود عنها!

نعتذر منك روسيا.. لأننا كنا أولاداً صغاراً وسذجاً.. وصدقنا هذه الأفلام.

(٣)

انتهت الحرب الباردة.. وانشغلت هوليوود بإنقاذ العالم من الكوارث الكونية!

والآن هي مشغولة أكثر بصنع «شرير» آخر..

شرير له ملامح «شرق أوسطية».. له نفس ملامحي بالضبط!

تحريض!

(٣)

«ما الذي أنجزتَه خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية؟»

هل سبق لك ـ وعند رمي رأسك على الوسادة ـ أن طرحت هذا السؤال على نفسك؟!

حسناً. . يوم واحد مدة قصيرة جدّاً، من الممكن أن يمضي دون أن تحقق أي شيء فيه. .

تعالَ لنجرّب مدة أطول:

قريباً سينتهي هذا العام. . ما هي الأشياء التي حققتها خلال أيامه الـ ٣٦٥؟

هل كان لك أحلام جديدة؟

هل قاتلت، وسعيت لتحقيقها. . أو «حاولت» على الأقل؟!

هل عملت على تحسين وضعك، وزيادة دخلك (مثلاً)؟

أنت مثل الأغلبية: تنتقد هذا المجتمع ـ وأنت جزء منه ـ هل فكرت بتغييره من خلالك أنت؟

هل تخلّصت من بعض عاداتك السيئة؟

خلال هذا العام: كم قرأت من الكتب الجديدة؟ وكم شاهدت من الأفلام المهمة؟ وما هي الأشياء المدهشة التي اكتشفتها في هذه الحياة الرائعة (ستظل رائعة رغم تذمرك وتشاؤمك!)، وكم كسبت من العلاقات الإنسانية؟

لا تجعل التفاصيل الصغيرة تشوش عليك روعة المشهد الأكبر.

لا تجعل التفاصيل الصغيرة تلغي المعنى الأكبر للحياة.

هل جرّبت ـ خلال هذا العام ـ أن تفتح بعض النوافذ الصدئة في رأسك؛ لترى العالم بشكل مختلف؟

هل جرّبت أن تطرد بعض الضباب أمام عينيك لترى الحياة بشكل آخر؟

هل مارست هواية جديدة لم يسبق لك ممارستها؟

هل فكّرت بكسر بعض القيود التي ورثتها من الأسلاف؟

هل داعبت رأسك الثقيل فكرة مجنونة؟

هل فكرت بالتغيير.. على قدر طاقتك.. وحسب المساحة المتاحة أمامك؟

(٢)

كن مثل ذلك التاجر القديم، الذي اقترب من الإفلاس، وعاد إلى دفاتره القديمة:

ما هي الأشياء التي ربحتها في هذه الحياة؟

أين هي الخسائر؟ وما هي أسبابها؟

وحاول أن تنقذ ما يمكن إنقاذه.. فمن لا «يراجع» نفسه وحساباته.. سيكتشف فقره العظيم!

(١)

من أنت؟!

رقم؟.. عدد صغير لا ينتبه له أحد؟..

كائن بشري أشباهك في العالم يتجاوز عددهم الستة مليارات.

الـ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ما أكثر الأصفار!

يمضي التاريخ دون أن ينتبه إليك أو يقف عندك.

(٠)

أعد القراءة.. لعل المقال اختلف.. وأنت لم تعد أنت!

إلى قارىء: أظنه ما يزال عربيا!

(١)

مشغول بقضاياك الصغيرة، وأشيائك اليومية؟

مشغول برغيف الخبز، ومصاريف الأولاد، وسفلتة وإنارة الشارع الذي يمر أمام بيتك؟.. لا بأس.. حتى الناس في «غزة» تشغلهم مثل هذه الأشياء ـ أو شبيهة لها ـ ويستطيعون رغم كل الحصار المفروض عليهم أن يتدبروا أمرهم، ويوفروا بعض ما يجب توفيره.. يأكلون الزعتر والزيتون.. ويقاومون.

وماذا بعد؟.. هل يمنعك هذا من أن تنشغل ـ ولو قليلاً ـ بقضاياك الكبرى.. ومنها: فلسطين؟.. هل نسيت فلسطين؟!

سيقول لك صوت ما: «وما شأني أنا؟»

قل له: ولماذا يكون شأن رجل شريف أو امرأة شريفة من الغرب، ولا يكون شأنك يا ابن العم؟!

سيقول لك الصوت ليربكك: «تقصد جورج غلاوي؟.. هذا رجل يبحث عن الأضواء والمكاسب السياسية».

لا تجادله.. وقل له: لا أقصده ـ وإن كنت أحترمه أكثر منك ـ

بل أقصد أناسا بسطاء مثلك.. أقصد «راشيل كوري» ـ وأمثالها كثيرون ـ تلك الشابة التي ماتت تحت جرافة إسرائيلية وهي تحاول أن تمنعها من هدم بيت فلسطيني.

لحظتها.. اذهب للمرآة، وانظر إلى وجهك، و«افتل شواربك» واعترف: أن هذه المرأة «أرجل» منك ألف مرة!

(٢)

من أنت؟

اخرج من الهويات الصغرى ـ تلك التي يدفعك لها زمن الهزيمة ـ وانزع ثياب الهويات الضيقة: المذهبية / القبلية / القطرية.. حتى تصل إلى جلدك!

وفي المقابل.. دع عنك كل هذا الضجيج العالمي الذي يريد أن يمسخك ويجعلك كائنا «معولماً» بلا هوية واضحة..

ستكتشف أنك وببساطة تمتلك هوية واضحة: عربي.

(٣)

فلسطين: أرضك.

وأهل فلسطين: أهلك وعزوتك و«القرابة».

وعار عليك أن يأتي «متضامن» من أقصى الأرض يدفع دمه وماله ليتضامن معهم.. وأنت تتفرج على المشهد وكأنه لا يعنيك!

كل هذا الفضاء الالكتروني مفتوح أمامك ولم تكتب سطراً واحداً لها.. أو عنها!

كل هذه الثرثرة التي تملأ بها «تويتر» و«الفيسبوك» والمدونات والمنتديات.. تملأها بالأشياء التافهة.. وتنسى ولو لمرة واحدة أن تتذكر «فلسطين»!

بل إنك سمحت لخصومها أن يشوّهوا الصورة أمامك.. وأحياناً تنساق وراءهم بسذاجة!.. لا تصدق هذا الذي يدّعي «الليبرالية» وهو يقف بجانب الجلاد ضد الضحية.. لا تصدق هذا الاسم المستعار ـ الذي يكتب معك في منتداك الالكتروني ـ والذي يعمل بحماسة ليلخبط روحك وانتماءاتك.. فأنت لا تعلم من أي وزارة خارجية أو جهاز مخابرات أتى!!

(٤)

سيأتي من يقول لك: هذا خطاب تراثي تجاوزه الزمن.

قل له: نصف خطابات التراث أجمل وأشرف من هذا الخطاب المعاصر المشبوه!

سيقول لك أحدهم: هذا كلام عاطفي.

قل له: هذا كلام العقل والعاطفة.. فمن يقبل أن يغتصب بيت أخيه وهو يتفرج.. سيأتي يوم يغتصب فيه بيته دون أن يحرّك ساكنا.. أو يسكّن متحركا!

(٥)

ما الذي حدث لك؟

خلال العقدين الماضيين أصبحت ترى جثة الطفل الفلسطيني وتسمع صراخ العجوز وتضغط على أزرار الريموت كنترول للبحث عن برنامج ترفيهي أو لمتابعة مسلسلك المفضل؟!

أصبحت لا تتذكر فلسطين إلا عند إبادة المئات من أهلها عبر «أكشن» تلفزيوني تبثه القنوات الإخبارية؟!

ما الذي حدث لك؟!.. من الذي شوّهك بهذا الشكل؟!

هل هم الساسة؟.. هل هو الإعلام؟.. هل هي مخططات طويلة الأمد أوصلتنا إلى منطقة البلادة واللامبالاة؟!.. هل هي كذبة «أوسلو» وبقية الأكاذيب التي تطلقها المهرجانات السياسية برعاية البيت الأبيض؟.. هل هي تلك العبارات المراوغة «الفلسطينيون اختاروا السلام.. الفلسطينيون يتفاوضون.. الفلسطينيون يوقّعون».. والحقيقة أن هؤلاء «الفلسطينيين» ثلاثة.. أو عشرة أشخاص.. والملايين ما يزالون يقاومون.. ويُحاصَرون.. ويتعرضون للإبادة اليومية بكافة الأشكال.

لا تجعل نشرات الأخبار تخدعك!

(٦)

فلسطين ليست «فصيلا» يقاتل «فصيلا آخر» للبحث عن السلطة وما تجلبه من مكاسب.

فلسطين ليست ثلاثة من الساسة الذين تكرههم، يذهبون إلى مؤتمر ليوقّعوا على المزيد من التنازلات.

فلسطين: قضيتك المركزية.

فلسطين: أغنيتك الخالدة التي لا تموت مهما سيطر الإيقاع الغربي على مقامات الغناء العربي.

فلسطين: المسجد الأقصى الذي تعادل الصلاة فيه خمسمائة صلاة.. ألم تحلم بالصلاة هناك؟.. ألم تراودك نفسك بهذا الحلم الجميل؟

فلسطين: الذاكرة.. ومن ينسها فقد أصابه «خرف» في الشرف والانتماء!

فلسطين: عشرات الآلاف من الشهداء.. ومئات الآلاف الذين ينتظرون دورهم.

فلسطين: خندقنا الأول ـ الذي لم يسقط حتى الآن ـ وما يزال يقاتل عدونا الواحد.

فلسطين: صلاة تعادل خمسمائة صلاة.

(٧)

كنت، وما زلت، وسأظل أؤمن أن إسرائيل ورم سرطاني يجب استئصاله.. هي شيء عابر وطارئ.. أو مؤقت.. هي بالضبط مثل نبتة غريبة جلبت من مكان بعيد لتُزرع في أرض مختلفة وطقس

مختلف.. جلبوا لها أفضل أنواع الأسمدة الكيماوية.. وأفضل مهندسي الزراعة بالغرب.. ودعموها بأجود أنواع مياه الري مع أفضل وأحدث الأدوات الزراعية.. والنتيجة: نبتة ميتة.. أو في أفضل الأحوال مشوّهة ولا مستقبل لها..

و«الإسرائيلي» في داخل أعماقه يؤمن بهذا: الحرب ستأكله، واللا سلام سيأكله أكثر!

لهذا لا يزال الإسرائيلي يحتفظ بألبوم صوره الذي جلبه من «بولندا» وعنوانه القديم..

والآخر لم يبع شقته في «روسيا» حتى الآن!

والثالث ما يزال يحتفظ ـ في مكان آمن ـ بهويته القديمة للبلد الذي أتى منه.

إسرائيل: نبتة مشوّهة.. شبه ميّتة.

فلسطين: شجرة الزيتون.

وستظل هذه الشجرة قائمة على أرضها طالما أن هنالك عجوزا تشعل نار تنورها لتطعم أولادها الخبز والمقاومة.

وطالما أن هنالك امرأة تقدم ثلاثة شهداء من أولادها وتنجب بدلا منهم سبعة.

وطالما أن هنالك كهلا طاعنا بالسن والحزن، ما يزال يحتفظ بمفتاح بيته القديم.

وطالما أن هنالك رجلا وامرأة يصرّان كل أسبوع أن يصليا الجمعة في المسجد الأقصى.

ستظل فلسطين الثابتة.. وستذهب إسرائيل الطارئة.

عقل معتقل / عقل مخـ .. ـتلف!

هل خطر على بالك مرة أن تتحرر من «عقلك»؟

قبل أن تجيب على هذا السؤال، سيولد سؤال آخر:

وهل العقل «يستعبدك» حتى تتحرر منه؟.. والإجابة: نعم.. أحياناً!

منذ الولادة، وهذا «العقل» يتشكل بطريقة لا خيار لك فيها.

يملؤه الآخرون بالأشياء التي يؤمنون بها، ويتشكل من الثقافة المحيطة بك..

وتكبر وأنت تقبل كل الأحكام الجاهزة والتي أصدرها الآخرون تجاه الأشياء.

لحظة.. فكر قليلاً.. وحاول أن تتحرر من «عقلك» الجاهز..

حرر عقلك «الخاص» من هذا العقل «الجمعي»

الذي يفكر بالنيابة عنك، ويقرر بالنيابة عنك!

ما ينتجه عقلك ـ الذي اعتدت عليه ـ من أفكار وعلاقات

وقرارات، هل يجعلك تتباهى بهذا «العقل»؟

حياتك البائسة، والمليئة بالعقد، هل تعتز بـ «العقل» الذي أنتجها لك؟

هل هنالك فرق بين «عقلك» و«عقول» الآخرين؟.. أم إن هنالك فرقاً بين استخدام هذا العقل وذاك؟

ما فائدة أن تقبل الأشياء كما هي؟.. وأي «عقل» هذا الذي يقبل وصاية «العقول» الأخرى عليه؟..

تحرر من عقلك الذي يستعبدك، وفكر بعقل غير معتقل..

فسترى الأشياء كما يجب أن تراها.

ولا تهتم كثيراً إذا قال لك عقل صدئ: أنت مجنون

فالجنون أحياناً: عقل تحرر!

برغر حسك بلا سمك!

(١)

حاولت أن أفهم ما يحدث في الاقتصاد العالمي هذه الأيام، وقرأت الكثير من المقالات التي تتحدث عن أزمة الرهن العقاري وتداعياته.. ومما شاهدته:

اشتراكيون مبتهجون بما يحدث ويرددون مقولات ماركس، وإسلاميون يتحدثون عن الربا، وقوميون يهللون لنهاية الإمبريالية!

وطبعاً، ليبراليون حزانى يدعون الرب: اللهمَّ احفظ أمريكا.

(٢)

هذا ما تقوله السوق الحرة وما تؤمن به: دعه يمر.. دعه يعمل.

ويبدو أنه لا يهمها هذا الذي سيمر عليها، هل هو لص؟.. نصاب؟.. مراب كبير؟.. لا يهم.. دعوه يمر، فالعمل سينتج العمل، والسوق تحرك السوق.

(٣)

تخيلوا أن أحدهم «مرّ» على النهر و«عمل» على اصطياد السمك، ولأنه يقف بجانبه «مدير مبيعات» جيّد وذكي وظريف قام هذا المدير ببيع السمك قبل اصطياده.

هناك من فكر بتأسيس شركة مساهمة لتعليب الأسماك.

هناك من قرّر المساهمة فيها، هناك من اشترى أسهم الأسماك، هناك من ضارب بها وكسب من ورائها الملايين... والأسماك لا تزال في النهر!

من جهة أخرى:

هناك من قام بتوقيع عقد لشرائها طازجة من الرجل الذي «يعمل» على اصطيادها.

وهو بدوره باعها لتاجر جملة. وتاجر الجملة باعها لصاحب مطعم أكلات بحرية.

وصاحب المطعم قام بحجز إحدى الطاولات لأحد المواطنين لكي يقوم نهاية الأسبوع بتناول السمك برفقة عائلته... والأسماك لا تزال في النهر!

و.. «دعوه يمر.. دعوه يعمل».

(٤)

الأمر ببساطة، ودون تعقيدات الأرقام، وما يرافقها من مصطلحات اقتصادية أن:

الرأسمالية الجشعة (غير المنضبطة) التهمت كل شيء حولها،
تلفتت حولها بحثاً عن شيء جديد تلتهمه

ولم تجد سواها.. فقامت بالتهام نفسها!

والسؤال هو: هل ما فعلته هذه الرأسمالية غير المنضبطة بنفسها وبغيرها سيصل أذاها إلى بقية الأشكال الرأسمالية.. حتى إلى الشكل الأكثر انضباطاً فيها؟.. الإجابة تكاد تكون: نعم.

(٥)

عندما تفلس «محفظة» الفكرة ـ أي فكرة ـ هل يعني هذا إفلاس «الفكرة» نفسها؟!

الشيوعية ما تزال تتنفس.. والدليل «الحفلة» المرافقة للحدث!

(٦)

ما الذي يهمني بهذا المقال، خاصة ما يمس الشأن المحلي؟

الذي يهمني: أتخيّل مواطنا ما، في مطعم ما، ينتظر وجبة «سمك» ستأتيه من نهر وهمي لا وجود له على الخارطة.. بعد أن قام بدفع ثمن الوجبة مقدماً!

والذي يخيفني: أن أحدهم قد قام باستثمار أموالنا في مصنع «تعليب الأسماك» المذكور أعلاه!

والذي يرعبني أكثر وأكثر: أن مؤسسة ما قد قامت بشراء «النهر» الوهمي!!

بغلة في العراق..
وعصفور في سنترال بارك!

(١)

يقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها: لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر)..

ولهذا: كنا أعظم أهل الأرض وقتها.

(٢)

يُقال إن هذه العبارة قالها مسؤول في بلدية نيويورك:

(إذا نفق عصفور في حديقة سنترال بارك لشعرت بالمسؤولية)!..

ولهذا: هم الأعظم ـ والأكثر قوة ـ في عصرنا الحديث.

(٣)

لو تحدثتَ أمام جمع من العرب عن حقوق البغال والحمير والعصافير، لوجدت ألف صوت يسخر منك ومن حديثك.. ولا يُلامون!

هل تتحدث عن «حقوق الحيوان» في منطقة «إنسانها» لا يعرف حقوقه..؟!

هل تتحدث عن الحقوق أمام بشرٍ «كلاب» الغرب مدللة أكثر منهم؟!

هل تتحدث عن الحقوق أمام من يشارك هو نفسه بإهدار حقه ويخاف من المطالبة به!

الإنسان الذي حصل على حقوقه كاملة يعرف كيف يمنح الآخرين حقوقهم..

وسيعرف أن للبشر والشجر والحجر، وللحيوانات السائبة في الطرق، حقوقاً يجب أن يحترمها.

سيعرف أن لشوارع المدينة عليه «حقا» بأن تبقى نظيفة.

سيعرف أن أي تشويه لجدرانها هو تشويه له ولبيته.

سيعرف أن من يريد أن «يأخذ» يجب عليه أن «يُعطي».

ولكن، لا تنتظروا منه إزالة الأذى عن الطريق، وهو يُدهس كل يوم في ذات الطريق!

تعالوا لنفكك عبارة أحد أعظم حكام الأرض في زمانه ـ إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق ـ ونعيد قراءتها مرة أخرى:

(لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها: لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر)

ـ عن ماذا يتحدث؟.. عن خوفه من أن «تتعثر».. فهي لم تتعثر حتى الآن.

ـ هذا شعوره بالمسؤولية تجاه «بغلة».. فكيف سيكون شعوره تجاه الإنسان!.

ـ من أي شيء يخاف عليها؟.. من الموت؟!.. لا.. كان يخاف عليها أن «تتعثر» لأنه قصّر في مسؤولياته ولم يمهد لها الطريق.

ـ وأين كانت هذه «البغلة»؟.. هل كانت على أطراف «المدينة»؟.. لا.. كانت هناك في أقاصي دولته.. في العراق.. ولكنه يظل مسؤولاً عنها.

لله درك يا ابن الخطاب، في سطر صغير، تقدّم ألف درس كبير: كيف يكون التعامل مع الرعية؟ وما الذي تعنيه المسؤولية؟. كل هذا وأنت أحد المبشرين بالجنّة..

(٥)

هل تعلم يا ابن الخطاب أن «بغلة» العراق ـ وإنسانها ـ يموتون كل يوم؟

هل تعلم يا ابن الخطاب أن الكثير من أحفادك ماتوا وهم يحاولون عبور المحيط؟ . .

كانوا يحلمون ـ يا أمير المؤمنين ـ أن يكونوا عصافير في حديقة «سنترال بارك»!

أفكار مفخخة!!

(١)

لا تدع الأفكار «السائدة» تمنعك من ابتكار فكرتك «السيّدة»!

(٢)

لا توجد فكرة متطرفة.. يوجد تفكير متطرف!

(٣)

لا تُفكر.. نحن نفكر عنك: شعار لكل سلطة قمعية!

(٤)

فكّر قليلا.. واكتشف أيهما أخطر:

السيارة المفخخة في شارع مكتظ بالمارة..

أم الفكرة المفخخة في شارع مكتظ بالأتباع؟!

(٥)

دع عقلك يحاكم عقلك!..

ستكتشف أن ألف فكرة سائدة «تعتقله» وهو يظن أنه حر.

(٦)

لا تؤجر عقلك لأفكار الآخرين..

مهما كانت أسعار الإيجار مرتفعة

ومهما كانت إغراءات المستأجرين الجدد!

(٧)

لا يوجد شيء أخطر من الإرهاب المسلح.. سوى الإرهاب الفكري.

(٨)

(أنا أفكر.. إذاً أنا موجود).. عبارة شهيرة لـ «ديكارت»

(أنا أفكر.. إذاً أنا مشبوه).. عبارة أشهر لأي مواطن عربي!

(٩)

تفكير / تكفير: كم هي فاضحة بعض الأخطاء المطبعية!

فقه قبلي أم عرف ديني؟!

قبل مئة عام: من يتسلل إلى حمى القبيلة المجاورة، ويسرق منها ما يستطيع سرقته، هو أحد «أبطال» القبيلة.

الآن: من يقوم بمثل هذا الفعل هو «لص» تتبرأ منه القبيلة والأهل والجيران.

قبل مئة عام: من يقوم بصناعة شيء مفيد يُوصم بأنه «صانع».. ويصبح أقل مرتبة بين أفراد القبيلة.

الآن: شيخ القبيلة يتباهى بين أفراد عشيرته بأن ولده المدلل مهندس «صناعي» في أرامكو!

قيم المجتمعات تتغيّر بتغير الزمن واختلاف الوعي.. ولكل زمن قيمه.

ومع هذا، لا نزال ـ للأسف ـ نرث الكثير من القيم التي لم يعد يستوعبها هذا الزمن، ولا يحتفي بها.

بإمكان أي متخصص أن يُراجع أحاديث سيّد الخلق «محمد صلى الله عليه وسلم» ويُخرج منها ما هو ضعيف.. وليس بإمكانه أن

«يضعّف» حديث شيخ القبيلة، ولا أن يُراجع فعلا ما قام به جده الخامس عن جهل!

أي سلطة لهذا المجتمع تتجاوز السلطة الدينية؟!!

المصيبة إذا اجتمعت هذه السلطة الدينية مع تلك السلطة الاجتماعية / القبليّة، وجاملت كل منها الأخرى.. ستنتج لك مسائل: لا تفرّق بين «العيب» و«الحرام»!

ولا بين العادة والعبادة. وستصبح نصف عاداتنا السيئة أشياء مُقدسة لا يُمكن مناقشتها!

لهذا، فإن كثيرا من الأمور بحاجة إلى تدخل السلطة السياسية لنزع هذا التداخل بين الديني والاجتماعي، ولا بد من تدخل مباشر من معالي وزير الصحة ـ ممثلاً للحكومة ـ لفصل هذا التوأم السيامي: الديني / الاجتماعي.. لنعرف بعد ذلك ـ على سبيل المثال ـ هل عبارة (تكافؤ النسب) مصدرها «الفقه القبلي» أم «العرف الديني»؟!!

أسئلة مرتبكة.. وإجابات خائفة!

(١)

هل انتهى «الإرهاب»؟

هل اقتلعته الريح العاتية؟.. أم إنه انحنى لها ـ حتى تعبر ـ وتشكل بشكل آخر؟

هل يُوجد تعريف واضح وصريح، ومتفق عليه، يخبرنا ما هو هذا «الإرهاب»؟!

وهل هو واحد، أم إنه كثير، ويأتي بأشكال وألوان مختلفة، ومن كافة الجهات؟!

هل نحن ـ وبالفطرة ـ إرهابيون ومتطرفون، أياً كانت الجهة التي نقف عندها، وندافع عنها؟!

«منك لله أيتها الجغرافيا»!

(٢)

عندما نقوم بالقضاء على ما يبرز على «السطح» منه.. هل يعني هذا أننا قضينا على ما هو موجود في «الأعماق»؟

الأسئلة كثيرة، والإجابات مخيفة. . . وخائفة أحياناً!

(٣)

تشذيب أغصان «الشجرة» المدببة. . لا يعني أن الشجرة تغيّرت. .

ولا يعني أن «البذرة» ستنبت لنا ـ أفكاراً ـ وفواكه مختلفة!

(٤)

أسهل الحلول أن نروّج عن أي مشكلة أنها أتت من الخارج.

نعلم أنها كذبة. . ولكنها تشعرنا بالرضى. . والطمأنينة المؤقتة!

(٥)

هنالك فرق شاسع وكبير:

بين العلاج الحاسم الذي يقضي على المرض تماماً. . وبين الأدوية المخدرة.

(٦)

أكرر: هل انتهى «الإرهاب»؟. .

أم إنه قام بـ«عملية تجميل» حتى كدنا لا نعرف ملامحه بين الزحام!

«الإرهاب» ابن شرعي لـ«التطرف».

انظروا حولكم: هل نحن قوم معتدلون في آرائنا وردود أفعالنا؟

انظروا حولكم: سترون الكثير من المشاريع «الإرهابية» القادمة!

على مقام النهاوند: رصد لـ «الرصد»!

بس لأنك موطني:

أ.. ل.. م.. ل.. م.. ك..

من شفايف مطربٍ تافه، في أغنية أتفه..

وأخلي ذوقي ينحني!

بس.. لأنك موطني.

(١)

أعترف أنه منذ منتصف التسعينات لم تعد (بلاد العُرب أوطاني) أنشودتي المفضلة!

طبعا، هذا الأمر ـ وما تلاه من أحداث ١١ سبتمبر ـ لم يجعل (اللهم احفظ أمريكا) هي الأنشودة البديلة..

حاشا لله.. أن أستبدل (من الشام لبغدانِ) بكل موسيقى الجاز والبوب وهرطقات الزميل «ألفيس بريسلي».. مع (عدم) احترامي لكل مريديه وأتباعه وأخص بالذكر الأصدقاء من النيوليبرل العرب!

(٢)

مصيبة أن يمضي بك العمر ولا يكون لك «أنشودتك». .
أغنية يحفظها قلبك ويحافظ عليها.

(٣)

أعلم أن هنالك أغنيات إنسانية بإمكانها أن تطرب الهندي والبرازيلي والعربي والياباني والهولندي

ولكنني. . سأظل بحاجة لأغنية لي. . أغنية تشبهني. .

أنشودة أتباهى بها بين الأمم. . وأقول: هذه أنشودتي!

(٤)

منذ منتصف التسعينات والأناشيد تمر على أذني الموسيقية:

نشيد العولمة / نشيد النظام العالمي الجديد / نشيد ما بعد العولمة / أناشيد معاهدات السلام. . . .

لم تكن تطربني كثيرا!

وطبعا كانت هنالك الأناشيد التي تم تسجيلها في أستديوهات «تورا بورا» من نوعية:

(خندقي. . خندقي). . و. . (رشاشتي. . رشاشتي). . وأعترف: كاد يطربني بعضها!

بل إنني كدت أشارك بصياغة بعض هذه الأناشيد:

لله درّك ما أنجبن مثلك البيض

يا آخر الفرسان. . للّه درك

يفداك ذلٍ (ن) ينكتب بالمعاريض

يفداك شيخٍ (ن) في حمانا «تأمرك»!

حنا دجاجٍ (ن) يلقط الحَب ويبيض!

ليت العمار تصير كله لعمرك

حنا جفاف (ن) وأنت غيض من الفيض

أنت: النخيل اللي حلمنا بتمرك!

والحمد لله الذي نجاني من «المُغني» و«المايسترو» ومن «أصحاب شركات الإنتاج»!!

(٥)

أنا من جيل عربي بلا «أنشودة»!

ضيّعتنا كل الأغنيات الرسميّة التي تبثها وزارات الإعلام العربية

تلك الأغنيات التي تموت مع موت الزعيم!

و«موزعو الموسيقى» وصناعها، وحراسها من المحيط إلى الخليج يضعون ذائقتنا الموسيقية أمام خيارين لا ثالث لهما:

إما (خندقي. . خندقي)

أو (اللهمّ احفظ أمريكا)!!

(٦)

«النشاز»: سيّد المشهد..

والحناجر: خناجر!!

(مخرج حالم):

في الفترة الأخيرة بدأت تروق لي هذه الأنشودة:

(خليجنا واحد.. ودربنا واحد)

سأغنيها هذا المساء لأولادي وأحلم معهم بأن: دربنا واحد وريالنا واحد وجواز سفرنا واحد وأمننا واحد وبحرنا واحد وجيشنا واحد وحدّنا (من ظفار إلى الجهراء) واحد.

نـوافـذ!

(١)

هل «النافذة» خطأ في الجدار؟

أم إن الجدار الخطأ . . والصواب «النافذة»؟!

(٢)

غرفة بلا «نوافذ» . . لا يمكنها أن تتخيّل شكل «الباب»!

(٣)

النوافذ المغلقة بإحكام تمنع وصول الهواء إلى الداخل

ولكنها لم ولن تستطيع منع دخول ذرّات الغبار!

(٤)

البيت الذي يخاف من فتح النافذة ستخنقه الرطوبة

ويصبح العث من سكانه.

(٥)

النافذة الطيبة:

هي تلك التي يوجد على حافتها وعاء فيه ماء

ليشرب منه طائر عابر يكاد أن يقتله الظمأ.

النافذة الأنيقة:

تلك التي تتباهى بحوض الأزهار فيها.

النافذة المرحة:

تلك التي لم تحبس كركرات الأطفال ووزعتها في فضاء الحيّ.

النافذة الكئيبة:

تلك التي لها قضبان.. ووراءها سجين.

النافذة الفاتنة:

تلك التي تآمرت مع الهواء المشاغب لكي يعبث بفستان الصبيّة!

(٦)

النافذة: ليست «حبة خال» على خد الجدار الأصم..

النافذة: أنف البيت!

الفقيه والسياسي وشاهبندر التجار!

(١)

حسب المتراكم في الذاكرة العربية.. تشكل وعي بهذا الشكل:

يحترم السياسي إذا تقرّب من الفقيه.

ويحتقر الفقيه إذا تقرّب من السياسي.

الناس في الأولى يظنون أن السياسي «يخاف من الله».. ويبحث عن الآخرة.

وفي الثانية يجزمون أن الفقيه يخاف من السلطة.. ويبحث عن الدنيا.

علماً أن النتيجة في الحالتين.. واحدة:

سيجد الناس أنفسهم أمام سلطة الدنيا تساندها سلطة الآخرة.

أي خروج في هذه الحالة، هو: تمرد وكفر..

وإعلان عداء مع الأرض والسماء!

(٢)

الفقيه المقرّب دائما سيجد في (نصوص) الشريعة ما يخدم السياسي ويقف بجانبه ضد خصومه.

فإن لم يجد.. فلن يتردد بابتكار (تفسير) يساند الحالة التي يمر بها السياسي!

(٣)

(الفقيه) و(شاهبندر التجار) و(شاعر البلاط): أوراق يلعب بها السياسي.

إذا فكر أحدهم بالخروج من اللعبة ـ أو التحول من (ورقة) إلى (لاعب) مستقل ـ سيتعامل معه السياسي الذكي بهذا الشكل:

أولاً: سيحاول شراءه.

ثانياً: سيرضي غروره بأن يجعله شريكا (صغيرا وغير مؤثر) في اللعبة.

فإن لم تنجح العروض المقدمة إليه.. سيأتي الحل الثالث: يُحارب بنفس الأسلحة التي يمتلكها.. فإن كان فقيهاً يحاربه فقهاء السلطة، وإن كان مثقفاً يحاربه مثقفو السلطة.. وهكذا.

والزنزانة التي أفتى بها الفقيه، وغض المثقف بصره عنها، جاهزة لاستقبال الاثنين!

وتبقى كافة الأوراق في يد «السياسي» ـ وما يمتلكه من أجهزة ـ يقلبها كيفما يشاء.. ويلعب على متناقضات اليمين واليسار، والفقيه

والشاعر، ويزرع في اليمين يمينا له وفي اليسار يسارا يبجله. وغالبا ما يحدث هذا بمساندة شاهبندر التجار.

(٤)

تأملوا في هذا المشهد الفانتازي / المخيف:

(الفقيه) رجل الدين، و(شاهبندر التجار) رجل الأعمال، و(شاعر البلاط) رجل الإعلام والثقافة: هم ثلاثة رجال في رجل واحد!

. ثلاثة في واحد؟!.. كيف؟!

. هذه خلطة سريّة لا يجيدها سوى السياسي العربي الماهر!

. وما النتيجة؟

. المزيد من الاستبداد.. القليل من الحرية.

هذه الـ (لا) الفاتنة

الـ (لا) حروفها أقل من الـ (نعم). . وتكلفتها أكبر!

(١)

في الخرطوم ـ في مؤتمر القمة الرابع ـ قال العرب (لاءاتهم) الثلاث الشهيرة:

لا صلح، لا اعتراف، ولا تفاوض مع العدو الإسرائيلي.

اثبت التاريخ أن (لا لا يا الخيزرانة بالهوى ميلوكي) أقوى، وأكثر ثباتا ً، وأطول عمراً من (لاءات) الساسة العرب!

(٢)

أشهر (لا) في تاريخ أمريكا، هذه الـ (لا) التي قالتها امرأة سوداء حُرة في وجه رجل ابيض.

كانت «روزا باركس» تعيش في ذلك الزمن الذي يُكتب فيه على واجهات بعض المطاعم عبارة (يُمنع دخول السود). . وفي الحافلات العامة عندما يأتي رجل أبيض ولا يجد مقعداً فارغاً. . يتجه إلى أحد

السود ليقوم من مكانه ويجلس بدلا منه!.. كانت «روزا» تشعر بالقهر من هذا المشهد.

في ليلة من ليالي أيلول الباردة من عام ١٩٥٥م وبعد ساعات من العمل المضني في محل الخياطة خرجت «روزا باركس» إلى موقف الحافلات لتتجه إلى منزلها.. صعدت إلى الحافلة التي لم تمتلئ بعد بالركاب.. جلست على أقرب كرسي.. بعد محطتين أو ثلاث امتلأت الحافلة.. أتى أحد الركاب البيض.. تلفت حوله.. لم يجد أي كرسي فارغ.. و- كالعادة - اتجه صوب امرأة سوداء - روزا باركس - وطالبها بالنهوض من مكانها ليجلس بدلاً منها.. ولحظتها قالت (لاءها) العظيمة.. صرخ جميع الركاب البيض في وجهها وشتموها وهددوها.. قالت: لا. توقف سائق الحافلة وطالبها بالنهوض من مكانها.. قالت: لا. اتجه السائق إلى أقرب مركز شرطة، وتم التحقيق معها، وغرمت ١٥ دولاراً نظير تعديها على حقوق البيض!!

من هذه الـ (لا) اشتعلت لاءات السود في كافة الولايات، وتضامنا مع «روزا باركس» بدأت حملة لمقاطعة كل وسائل المواصلات واستمرت حالة الغليان والرفض وامتدت لـ (٣٨١) يوماً إلى أن حكمت إحدى المحاكم لـ «روزا باركس».. وتم إلغاء الكثير من الأعراف والقوانين العنصرية.

من خلال هذه الـ (لا) الرائعة الحرة تغيّرت أوضاع السود.

من خلال هذه الـ (لا) استطاعت هذه المرأة أن تحافظ على

(مقعد) في حافلة صغيرة، لتستمر حركة الحقوق المدنية، وبعد نصف قرن يأتي ابن بشرتها السوداء لينتزع أكبر (مقعد) في الولايات المتحدة!

في أكتوبر عام ٢٠٠٥م توفيت «روزا باركس» عن عمر يناهز ٩٢ عاما، وتم تكريمها بأن رقد جثمانها بأحد مباني الكونغرس في إجراء لم يحظ به سوى (٣٠) شخصا منذ عام ١٨٥٢م، وفي حياتها مُنحت أعلى الأوسمة.. ولكنها ـ قبل هذا ـ منحت نفسها الوسام الذي لا يستطيع أي أحد أن يمنحه لك.. سواك: وسام الحرية.. عندما قالت (لاءها) الحرة العظيمة.

(٣)

قمت بإجراء استبيان (على نفسي طبعاً !) لمعرفة إجابة هذا السؤال:

ما هي أشهر (اللاءات) السعودية ؟.. وكانت النتيجة كالتالي:

ـ (لا عاد تعودها).

ـ (لا تردين الرسايل / ويش أسوي بالورق ؟)

ـ (لا يوجد سرير، لا توجد وظائف، لا يوجد مقعد، لا يوجد ترسيم، لا يوجد برسيم،......)

والكثير من اللاءاااات الرائعة.. المروعة!

(٤)

وفي الختام، اهدي هذا البيت من الشعر لكافة المواطنين العرب، والذي كأنه كتب لهم، ليصف حالتهم المستعصية:

ما قال (لا) قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت (لاءه): نعم!!

حفـرة!

وجود حفرة في شارع سعودي مكتظ بالمارة.. بإمكانها أن تتحول إلى قضية وطنية ساخنة!

كل ما تحتاجه لهذا الأمر:

- أربعة كُتَّاب (٢ بنكهة الفراولة + ٢ برائحة دهن العود) وشرارة صغيرة لا يُعرف مصدرها.

- موقع إلكتروني مشبوه.. فيه الكثير من الأعضاء السُذج.

- بيان رمادي!

وهكذا ـ وخلال أيام ـ ستصنع شيء من اللا شيء، وستقوم حرب فكرية كبرى بين اليمين واليسار، توزع فيها كافة الاتهامات ـ وبكافة الأشكال ـ ولكافة التيارات.

سيأتي من يتطوع لتحليل تربة هذه الحفرة لمعرفة نوعيتها، وسيأتي من يقوم بمناظرة تلفزيونية عنوانها «الحفرة وآفاق المستقبل»،

وستقوم حملة عبر «الفيس بوك» شعارها (نعم للحفرة) وأخرى على النقيض شعارها (لا للحفرة).

هناك من سيقول: إن هذه الحفرة «تغريبية».

وهناك من سيرد عليه: بل هي حفرة «إرهابية».

وأنت ستصرخ لوحدك: اردموا هذه الحفرة!

هذا الضجيج سيجعلك تنسى ما يحدث في بقية الشارع: أعمدة الإنارة المطفأة/ انقطاع المياه/ تلك العجوز التي تشحذ على الرصيف/ هذا الولد الذي يشخبط على الجدران/ ما يحدث في بعض القصور من قصور/ الفوضى التي أصابت اللوحات الإرشادية في الشارع/ ما يحدث على الرصيف من أخطاء...

وأنت تصرخ لوحدك: من الذي «صنع» هذه الحفرة ؟.. وهل فعلتها الطبيعة أم أنها فعل بشري؟.. ولماذا قام بحفرها؟!

والضجيج يأكل أسئلتك التي تمر دون أن ينتبه إليها أحد، فهم مشغولون وقتها باجتماع «رئيس البلدية» مع مستشاريه لإيجاد حل عاجل لهذه الحفرة.. وتبدأ الاقتراحات الفاسدة:

ـ نصنع جدار خرساني حول الحفرة حتى لا يقع فيها المواطنون، وتكلفته....

ـ لا . . نبني جسراً فوق الحفرة يسمح بمرور السيارات حتى لا يتعطل السير، وتكلفته . . . .

ـ لا . . نقوم بإزالة البيوت حول الحفرة!

ولحظتها، تصرخ لوحدك ولا أحد يسمع صراخك:

«يا إلهي . . ما أكثر الحُفر في بلادي»!!



فاكهة

مقدمة:

كل ما أفعله هو أنني ألعب بالـ [ك ل م ا ت] فتصبح : لكمات!



(١)

حاول أن تكسر السائد برأيك السيّد.

لا تسافر في الطرق التي مهّدها الآخرون قبلك.

اختر الدروب الوعرة..

ومهدها بأقدامك وإقدامك.

تحمّل مخاطر الطريق الموحشة

وازرع أطرافها بخطواتك المدهشة.

غداً سيقولون: هذا طريقه.. وتلك طريقته!

(٢)

الحياة مثل البيانو لا يكتمل لحنها بالمفاتيح البيضاء فقط..

لا بد من استخدام المفاتيح السوداء أيضاً!

(٣)

الحلم المرعب ينتهي عندما تصحو من النوم.

الصحو المرعب.. كيف ينتهي؟!

(٤)

العطر نفْس العطر.. ولكن الأجساد التي تستقبله تختلف.

لهذا، عندما تتعطرين يتحوّل العالم كله إلى «أنف»!

(٥)

إيمان العقلاء.. بناء.

إيمان الحمقى - بأي شيء - كارثة!

(٦)

يسقط الراقص الماهر عندما يبدأ بمراقبة حركة قدميه.

وكذلك الكاتب عندما يكبر «الناقد» فيه..

ويبدأ بمراقبة ما يفعله «الفنان» في داخله.

(٧)

الماء والهواء: أرخص الأشياء على هذا الكوكب.. وأغلاها أيضا.

فكروا بأنفسكم.. تلفتوا حولكم.. ستكتشفون أن لديكم الكثير من الأشياء

الثمينة التي تظنون أنها رخيصة.. ولكنها غالية جداً.

مشكلتنا أننا لا ننتبه ـ ولا نحتفي ـ بالأشياء التي بين أيدينا . .
لأننا مشغولون بالأشياء التي بين أيدي الآخرين!

(٨)

الأول: له ظل يحرسه

الثاني: له ظل يراقبه

الثالث: بلا ظل!

أنت . . أيهم؟!

لا تدع ظلك يجيب بالنيابة عنك!

بالمناسبة من منكم يدّعي أن «ظله» أبيض؟!

(٩)

لن أملّ من تكرار هذه العبارة عليك:

لا تصدق كل الإعلانات والعبارات واليافطات
المُعلقة في الشارع السياسي . .

وخذ مني ثلاث كلمات:

(بلادك: هي أنت)

(١٠)

عندما تنكسر المرايا . .

حتى الوجوه الطيبة تتشوّه!

(١١)

لن تكون «قمراً» رائعاً . . لو لم يحاصرك كل هذا الظلام!

(١٢)

أن تنجح وأنت بلا موهبة . . هذا بحد ذاته : موهبة!

(١٣)

الذي حدث وبكل بساطة :

أن ساعة المنبه لم تعمل في ذلك الصباح

ففاتته الرحلة في الطائرة التي انفجرت بعد

إقلاعها بدقائق . . .

ـ هل أخطأه الموت؟

ـ كلا . . أصابته الحياة!

(١٤)

سألني المذهبّي : ما مذهبك؟

قلت له: «سيعي»

قال: ماذا؟!!

قلت: «شنّي»

أخرج مسدسه، وصوّبه نحو رأسي..

ومات!!

(١٥)

كان يكتب لهم بقلمه «أبو نصف ريال» مقالات تُكتب بماء الذهب.

صار يكتب لهم بقلمه «الذهبي» مقالات لا تساوي نصف ريال!

(١٦)

يبعثر رأسه في الجهات الأربع

ليرتب فكرة واحدة!

(١٧)

في رأسك ألف باب صغير لم يُفتح من قبل.

اكتفيت بفتح الأبواب التي ورثت مفاتيحها من أسلافك.

جرّب أن تفتح الأبواب الأخرى.. ولا تخف من الهواء الجديد!

(١٨)

كان يكتب بالقلم «الرصاص».. والمقالة التي لا «تُصيب».. تدوش!

بعدها كتب بقلم الحبر..

بعدها كتب بقلم الحب...!

الآن يكتب بكل الأقلام الملونة لكل المناسبات الملوثة!

(١٩)

عندما ندخل إلى القصر الفخم، ترتسم على وجوهنا ابتسامة بلهاء، وجميعنا نصفق لا شعوريا!

عندما تدخل إلى المقهى الشعبي تصرخ بأعلى صوتك على الجرسون: «يا ولد»!

عندما تدخل إلى الفندق ذي النجمات الخمس تناديه بهمس: «لو سمحت يا سيّد»!

حتى الأماكن لها سلطتها!

(٢٠)

عازف البيانو والجرّاح الماهر..

كل منهما يُؤمّن على أصابعه.

ولاعب الكرة يؤمّن على قدميه.

والمُغني يؤمّن على حنجرته.

و «جنيفر لوبيز» وجدت في جسدها ما تؤمّن عليه!

«الكاتب».. على ماذا سيُؤمّن؟!

على لسانه الثرثار؟.. أم على تفكيره المشاكس؟..

أم على أصابعه الحُرة؟.. أم على رأسه الذي تهب عليه عواصف القلق من كافة الجهات؟

وأي شركة تأمين غبيّة تلك التي ستقبل توقيع العقد معه؟!

(٢١)

حتى اللص، يجد التبرير المناسب أمام نفسه لكي يرضي ضميره.

الضمير: لا يمنعنا من فعل الأشياء السيئة.. ولكنه يُعكر المتعة!

(٢٢)

الحياة: نص فاتن ومدهش.

يشغلنا عن الاستمتاع بقراءته..

محاولاتنا الدؤوبة للمشاركة بكتابته!

(٢٣)

لا يوجد شيء في هذا العالم تفكر في الهروب منه دوماً لكي تلجأ إليه..

مثل: المرأة!

(٢٤)

بعض الأشخاص مثل كتاب رائع وثمين، ولكن غلافه عادي وغير جذاب..

وبعض الأشخاص: غلاف رائع وجذاب.. ومحتوى فارغ!

لا تجعل الغلاف يخدعك عن حقيقة المحتوى.

(٢٥)

الذين لا يشعرون بالحنين إلى شيء ما من «الماضي»

لا تثق كثيراً بـ «المستقبل» الذي يأخذونك إليه!

(٢٦)

ـ بالعامية:

أجمل ما في الموت.. أننا لما نموت:

تصير بقايا أجسادنا

رمل بصحاري بلادنا

يجون أحفاد أحفادنا.. يبنون منا بيوت!

(٢٧)

هي ثرثارة . . وجميلة .

ما الحل؟

الحل: أن تقوم بالتهام لسانها!

(٢٨)

بعض القرارات تشبه التصويبة القوية التي ترتطم بالعارضة:

ـ تعجب الجمهور .

ـ يصرخ المذيع لجمالها وخطورتها .

ـ تربك الدفاع .

ـ ولكنها ـ في النهاية ـ بلا «هدف»!

(٢٩)

لا توجد حكاية تروى بنفس الدّقة مرتين . .

كل حكاية تتأثر بآراء راويها ومواقفه من الأشياء .

لهذا: لا تصدقوا «التاريخ» كثيراً!

(٣٠)

خرجَتْ من المصعد وبقي فيه عطرها يفعل بنا الأفاعيل العابثة

ودون أن نضغط على أزرار الطوابق:

طار بنا المصعد إلى السماء الثالثة!

(٣١)

كل النساء: أمهات... حتى العاقر!

(٣٢)

لم يكتف برذيلة عدم المشاركة في صنع المستقبل.

بل ارتكب رذيلة أكبر.. الوقوف في وجه المستقبل.

(٣٣)

أعظم الساسة: لا يوجد بينهم من لم يُوقّع «وثيقة استسلام» على سرير ما!

(٣٤)

...، وكان آخر ما قاله لهم:

أعلم أنها تسكن في قصر يحرسه عشرة من العبيد.

أعلم أن لها عشرة إخوة أشداء.

أعلم أن لها عشرة أعمام، كل منهم له عشرة أبناء.

أعلم أن لها أباً يمتلك نصف المدينة، ويستطيع أن يشتري النصف الآخر.

ولكن.. سأنام الليلة في غرفتها!

قالوا: ما اسم هذه الصبيّة؟

قال: الحريّة!

(٣٥)

اللون الرمادي: لونٌ بلا لون!

كل لون له موقف..

وحده «الرمادي» بلا موقف..

هو: لون جبان.. يدّعي أنه لون محايد!

(٣٦)

«العتب: صابون القلوب».. ولكن..

لا تُكثر من استعماله، لأنه يسبب الجفاف

وتشقق الروح!

(٣٧)

بعض (الكتابة) تشبه المراوغة في منطقة الـ(١٨) لها نتيجتان فقط:

تسجيل هدف في شباك الرقابة، أو الخروج بنقالة من الملعب!

(٣٨)

(لا تفكّر.. نحن نُفكر عنك)

حفظ الله الحكومة.. حتى في التفكير لا تريدني أن أتعب!

(٣٩)

الهدوء ـ المُبالغ فيه ـ مخيف.

لا بُد من شيء من الضجة!

(٤٠)

ـ عندما (يُخطئ) لاعب الكرة يُمنح بطاقة صفراء.

وعندما (يُصيب) المثقف يُمنع من اللعب مدى الحياة!.

(٤١)

قال متذمراً:

ألا ترى أن أنصاف الموهوبين يخطفون الأضواء؟

قلت له:

الألعاب النارية ـ مهما كانت باهرة ومضيئة ـ لحظات وتنطفئ.

وحدها النجوم الحقيقية تبقى مضيئة في السماء.

(٤٢)

جهلك في بعض الأشياء فيك
لا يعني أنها غير موجودة.
أخرج منك.. لتراك بشكل جيّد!

(٤٣)

في الفن والحب:
من المنطق أن لا تستخدم المنطق!

(٤٤)

المتفائل: هو من ينظر إلى النصف الممتلئ من الكأس.
المتشائم: هو من لا يرى إلا النصف الفارغ منها.
المُفكر: هو الذي ينشغل بنوع الكأس وتاريخها وجودتها.
رجل الدين: هو الذي يسأل عن نوع الشراب الموجود فيها.
المُعارض: هو الذي لا يرى سوى الخدش الصغير في طرف الكأس.
السياسي: هو الذي يقوم بتلميعها.. حتى وهي فارغة.

المواطن: هو الذي يحلم أن يشاركهم الشرب منها!

و.. كأسك يا وطن.

(٤٥)

عقل / «عقال» / اعتقال...

حتى اللغة توحي لك أن الحرية: جنون!

(٤٦)

هل تعلم أن لك أجنحة خفيّة؟!

حاول أن تكتشفها أولاً..

وثانيا حاول أن تتعلم كيف تطير.

من لم يجرب الحب، والكتابة، والحلم.. لن يصدقني!

(٤٧)

حمل المحرر الصحفي مسجله الصغير لتسجيل الحوار مع المغني الجماهيري.

بعد أن عاد إلى الصحيفة وجد الشريط فارغاً تماماً!

نشر الحوار على صفحة كاملة!!

(٤٨)

كوميديا سوداء:

أمريكا مشغولة بكيفية «الذهاب» إلى المريخ وهي - حتى هذه اللحظة - لا تعرف كيفية «العودة» من أفغانستان!

(٤٩)

للبيوت - مهما كانت متواضعة - دفء.. ورائحة طيبة لا يشعر بهما سوى الغرباء.

(٥٠)

أن تكذب على طفل ثيابه مُتسخة، وتقول: «الله.. ما أجمل ثيابك» أفضل ألف مرة من أن تكون صادقاً معه. وكذلك الأمر مع المرأة!

(٥١)

«صح» مطبعي:

لكل مجتهد «نسيب».. والحديث ذو «سجون»!

(٥٢)

قلت:

من ألذ المأكولات وأشهاها: العسل..

تصنعه «نحلة» صغيرة.

من أجمل الملبوسات وأغلاها: الحرير..

تصنعه دودة صغيرة.

فلا تتصاغر نفسك.

علّق صديقي المتشائم:

ـ والذبابة تطير.. هل بإمكاني الطيران؟!!

(٥٣)

أن يكون لك منزلك..

فأنت قطعت نصف الطريق نحو الحريّة!

(٥٤)

قلت له: «إن بعض الظن إثم»

تساءل بخبث: وبعضه الآخر؟!!

(٥٥)

يُقال: (بنات أفكاره)...

ألا يوجد لأفكاره (أبناء) أيضاً؟

هل «الفكرة» أنثى؟.. أنا أراها كذلك..

لأنها كل مساء تراودني عن نفسها!

لا أحب الفكرة / الثيّب

ولا الفكرة / الشمطاء

أعشق الفكرة / الصبيّة.. العذراء.

أعطر لها الفضاء بأكسجين الحريّة

أحوّل الدفتر إلى خيمة عرس

وأقبلها قُبلة الموت الشهية.

لحظتها.. لا يعنيني كل «شيوخ» الأرض!!.

(٥٦)

عندما تغلق كل الأبواب التي بيننا وبينك تتحوّل إلى سجّان

تين.

افتح الباب الوهمي.. لكي نصبح بابك الحقيقي!

(٥٧)

لو سألتَ أياً من البشر، سواء هؤلاء الذين ينعمون بحياة حرة

ويعيشون تحت سقف نظام حر، أو هؤلاء الذين يعيشون في بلاد أشبه بزنزانة.. وقلت لهم: ما هي أحلامكم وطموحاتكم؟

لقالت لك الأغلبية منهم: إنهم يحلمون ببيت صغير يضمهم هم وأسرهم، وعمل شريف يعيشون منه، وبلاد تحترم إنسانيتهم وخياراتهم، وتمنحهم حقوقهم.

الغريب، أن أغلب الحكومات في هذا العالم، تنسى هذه الأغلبية ـ ذات الأحلام الصغيرة ـ والتي تحلم بـ «بيت» صغير وتنشغل بالأقلية التي تنافسها على «الكرسي».

هل «الكرسي» أكبر من «البيت»؟!

(٥٨)

ليست إهانة أن تصفعه ويداه مقيدتان خلف ظهره.

الإهانة أن تصفعه وله يدان حرتان طليقتان.

مهما فعلتَ للعبد أنت لا تهينه.. لأنه لا يوجد شيء أكثر إهانة من «العبودية» نفسها.

(٥٩)

الفكرة الرائعة مثل الضيف العزيز الذي يأتي دون موعد مسبق:

ـ أذبح لها خروف الوقت.

ـ وأطبخ لها قهوة القلق.

ـ وأجعلها تأكلني وتشربني . . وأنا أبتسم!

(٦٠)

سيقول لك أحدهم . . معتذراً:

للأسف . . لم يحدث الأمر كما نتوقعه.

ولن يقول لك:

لم نتوقعه بشكل سليم . . وكما يجب.

كأن «الأشياء» هي التي تخطئ لأنها لم تقرأ «أفكارنا» بشكل جيّد!

(٦١)

يمضي «اليوم» ونحن نخطط ونفكر بما سنفعله في «الغد» فلا نعيش اليوم ولا نضمن الغد. لدينا الكثير من الأشياء الرائعة، فلماذا نضيّع الوقت بالأشياء التي ليست لدينا بدلاً من الاستمتاع بما بين أيدينا؟

(٦٢)

(أقامت الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام حفلها السنوي في فندق الفور سيزون)

حاول أن تكتشف الأخطاء السبعة في العبارة السابقة!!

(٦٣)

هم ينظرون. . . وأنت «ترى»

هم يسمعون. . . وأنت «تنصت»

فرق هائل بينك وبينهم. . ولكنهم لا يعلمون.

لك أصابع بإمكانها لمس الأشياء الخفية. .

لهم أيادٍ فقدت حاسة اللمس!

لهم أقدامهم التي تبحث عن الطريق

ولك أقدامك التي تصنع الطريق الجديد. . وتمهده لهم.

(٦٤)

الأواني الفارغة تحدث ضجة أكثر من الأواني الممتلئة. . وكذلك البشر!

(٦٥)

ليس كل جديد جيّداً ولا كل قديم سيئاً. .

السيِّئ: هو انبهارنا بالأشياء الجديدة عندما ننظر إليها بعين طفولية!

(٦٦)

عندما تغلق هاتفها:

أشعر أنني خارج الخدمة مؤقتاً..

لعدم سداد فواتير اللهفة!

(٦٧)

كثير من الناس لا يبحثون عن الحقيقة قدر بحثهم

عن «الكذبة» التي تسعدهم وتشعرهم بالرضى.

(٦٨)

قلت: «آمين»

قبل أن يقول الإمام: «ولا الضالين»!

قال أحدهم: تلبّسته قبيلة من الجان والشياطين..

قال آخر: بل هو من الكافرين / العابثين / الفاسقين / ....

قال الشحاذ الواقف على باب المسجد: لعل لديه رأيا آخر؟!

(٦٩)

هذا بعض ما يحدث للمواطن العربي:

عبر الكلمات ـ التي تسمح بتداولها السلطة ـ يتشكل وعيه.

مع الزمن يتم استعباده دون أن يشعر.

مع مرور الوقت تجده يدافع عن الطغيان وهو يظن أنه يدافع عن ثقافته وهويته.

بعدها يتحوّل تلقائيا إلى: المُستعبَد المُستعبد!

(٧٠)

في الرياضيات: ١ + ١ = ٢

هذه حقيقة علمية ولن يختلف معك أحد عليها.

في الفكر والفن والرأي: ١ + ١ = ٣

وأحياناً = صفراً، وأحياناً أي رقم يخطر على بالك!

(٧١)

عجيبون نحن: نخجل من الحب.. ولا نخجل من الكره!

(٧٢)

للأفكار الرائعة أجنحة، تجعلها تُحلّق في كل السماوات

وتغرّد على شبابيك البيوت المغلقة.

لن يستطيع كل هواة «القنص» اصطيادها.. أو قتلها!

(٧٣)

وعندما تنفخ الدولة بالون اختبار لحدث ما أو لقرار قادم، سوف يجند كل أبواقها الإعلامية ـ من مؤسسات وقنوات وكتّاب ـ لهذا الأمر.

والكُتّاب في هذه الحالة أربع فئات:

ـ فئة مُدربة لمثل هذا الأمر.

ـ وفئة ثانية تسابق الفئة الأولى إلى الحفلة الإعلامية (دون أن يُطلب منها) لعلها في المستقبل تكون ضمن الفئة الأولى وتحظى ببعض امتيازاتها.

ـ وفئة ثالثة.. ساذجة، سمعت بالضجة، ودخلت دون أن تعي عن ماذا.. أو لماذا هذا الصراخ؟!

ـ وفئة رابعة تتابع بصمت.. وتضحك بحزن!

أقول «بالون».. لأن بعض الكلمات أخف من الهواء.. وأقل قيمة.

(٧٤)

عندما ترى أن الحياة: «أبيض وأسود» فقط..

تأكد أن الخلل فيك، وليس في الحياة وألوانها.

(٧٥)

ليلة دافئة:

(أ)

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، وبسبب خطأ صغير ارتكبه أحدهم، اشتعلت شرارة الحريق.

امتد الحريق من منزل إلى منزل، ومن حي إلى حي آخر.. حتى التهمت النيران نصف المدينة.

قال «المتشرد» الذي اعتاد النوم في الأزقة الباردة والمظلمة:

كانت ليلة دافئة.. ومضيئة!

(ب)

«المشهد» واحد.. لكنه يختلف باختلاف العين التي تراه!

(أ / ب)

*** ملاحظة غير مهمة:**

«ليلة دافئة».. عنوان يوحي بأنه يتحدث عن ليلة يضيئها حريق، وقد يكون ليلة حب تضيئها شموع العشق؟!

درّبوا عيونكم ـ وعقولكم ـ على رؤية «المشهد» من كافة الزوايا.

وتأكدوا أن بعض «القبح» مراوغ.. تظنون أنه «جمال».

وبعض «الجمال» منزوٍ.. تظنون أنه «قبح».

(٧٦)

أحمق من يرفض المستقبل.. وأكثر حماقة من يُحاول إلغاء الماضي!

(٧٧)

نظرت إليّ (وعيناها باتساع البحر) وقالت:

ـ هل تُجيد السباحة؟

قلت: لا... أجيد الغرق!!

(٧٨)

ـ لا يهمّ ما الذي سنحصل عليه في هذه الحياة..

المهم كيف سنحصل عليه؟.. وهل سنفقد مقابله شيئاً أهمّ منه؟!

(قالتها عاهر فاحشة الثراء لمسؤول تخلّص من شرفه أخيراً)!!

(٧٩)

لا تقترب كثيراً من الأشياء التي تحبها..

كي لا ترى ما تكرهه فيها!

(٨٠)

دعه أولاً يرى هذه «الشمس»

ويتفق معك على أنها «الشمس».

ثم، بعد هذا، حاول أن تقنعه بهذا «الضوء» المنبعث منها.

(٨١)

أسوأ أنواع الوحدة.. تلك التي تجتاحك وأنت

بين أهلك وصحبك.

(٨٢)

هذه «الإدارة» مهووسة بنظافة المدينة.

نسيَت أن أول خطوة لـ «تنظيف» المدينة: تغيير الإدارة «الوسخة»!

(٨٣)

في المطعم نعرف النادل ولا نعرف الطهاة.. وكذلك في الحياة:

كثيرة هي الأشياء التي نرى الذين يقدمونها لنا..

ولا نعرف في الحقيقة من الذي يقوم بـ «طبخها»!

(٨٤)

يُبدل أفكاره ومواقفه مثلما يُبدل أحذيته.. لهذا يمشي برأس حافٍ!

(٨٥)

بإمكان «عود ثقاب» أن يحرق غابة كاملة..

ولكن ليس بإمكانه أن يعود شجرة!

(٨٦)

يحدث انفجار في مكان ما..

يسميه أحدهم: نضالا.

يسميه الآخر: إرهاباً.

الأقوى بينهما (كلماته) هي التي ستقوم بصياغة الخبر في نشرات الأخبار..

وبعد فترة تتحوّل إلى ثقافة!

....

انفجار الكلمات أقوى من انفجار القنابل.

(٨٧)

الجبناء وحدهم هم الذين يظنون أن الفرق الوحيد بين «الأقدام» و«الإقدام»: همزة.. ارتفعت هنا، وانخفضت هناك!

(٨٨)

فمه: بندقية في يد أرعن.

فمي: عصفور حرّ.

ومع هذا.. كلماتي قنصت كلماته!

(٨٩)

غضبك، وحزنك تجاه أي حدث.. لن يغيّر في الحدث شيئاً.

سيغيّر ملامحك فقط.. ويجعلك أقل جمالاً.

(٩٠)

المنظر الذي تطل عليه نافذتك ـ مهما كان رائعاً ـ هو منظر عادي..

لأنه المنظر الذي تطل عليه نافذتك!

(٩١)

تزعجني كثيراً ضجة الأطفال في البيت، وأنزعج أكثر من الهدوء الذي يسببه غيابهم.

(٩٢)

كثير من الناس يفقدون حقوقهم في هذه الحياة ولا يهتمون. .

ويغضبون كثيراً إذا فقدوا سلسلة المفاتيح!

(٩٣)

بعض المستمعين يعطيك «أذنه». .

وبعض المستمعين يعطيك «أذنه» و«عقله» أيضاً. . أيُّ عبودية هذه؟!

(٩٤)

في الزحام تتشابه الوجوه. . والأصوات كذلك!

ـ احذر من الحديث وسط الضجة. .

ستضيع كلماتك الجيدة بين أمواج الكلمات الرديئة.

(٩٥)

لو سألت «النحلة»: كيف تصنعين هذا العسل؟

أو «دودة القز»: كيف تبتكرين الحرير؟

لقالتا لك: لا ندري!. .

إذاً، لا تسأل هذه المرأة:

لماذا أنتِ حلوة إلى هذا الحد.. الذي لا حدّ له؟!

لأنها ستقول لك..

بغنج يكاد يقتلك: «مدري»!

بعض الأشياء قدرها أن تكون جميلة ومدهشة ومختلفة..

تصنع البهجة لمن حولها.. دون أن نعرف كيف تفعل هذا.. ولماذا!!

(٩٦)

الذي يحسب عدد أصابعه قبل الكتابة

يخرج بعد الكتابة بأصابع كاملة وكلمات ناقصة!

(٩٧)

سطل من الماء لو رميته على رأس أحدهم: لن يقتله.

سطل من الماء (المتجمد) لو رميته على رأس أحدهم: سيقتله.

انظروا حولكم، وابحثوا عن هذا الماء البريء الذي تم تجميده وتحوّل إلى ماء قاتل!

(٩٨)

بعض الثوّار.. يحرقون المدينة.. لكي تضيء!

(٩٩)

كل صياد سيحصل على رزقه الذي كتبه الله له..

ولكن، عليه أن يذهب إلى البحر، فالأسماك لن تأتيه إلى المنزل.

(١٠٠)

كانت الأمهات يوصيننا بأن «نمشي جنب الحيط»!

أيها الآباء: متى يسقط هذا الحائط؟.. فلقد مللنا المشي بجانبه!.

أيها الأبناء: اهدموووووووه!

[الجدار الخيالي الموجود في رأسك أخطر ألف مرة من كل جدران الواقع!]

(١٠١)

لك خمس أصابع... لماذا لم تكن أربعاً أو ستاً؟

هل سبق لك أن طرحت هذا السؤال على نفسك؟

أنا لا أمتلك الإجابة.. ولكن.. أجمل الأسئلة تلك التي تحرّض على ولادة أسئلة أخرى!

(١٠٢)

تخيّلوا: ما الذي كان سيفعله «عبادي الجوهر»

بالعود لو كان لديه ست أصابع؟!

ـ ربما يرتبك أكثر

ـ ربما يبتكر أكثر

ـ ربما يخبرنا لماذا اللون الأخضر صار أخضر؟!

(١٠٣)

لا ترفض ما لا تعرفه.. فقط لأنك لا تعرفه.

ولا تحتفِ بالأشياء التي لديك.. فقط لأنها بين يديك.

(١٠٤)

الأول: يتحدث كثيراً.. ولا يقول أي شيء!

الثاني: يتحدث قليلاً.. ويقول كل شيء.

(١٠٥)

يثرثر في مجالسه الخاصة ـ وبحماسة ـ بأن: العالم بحاجة لمن يُعيد ترتيبه.

قبل أن تُرتب «العالم» يا هذا.. رتب «غرفتك» التي تملؤها الفوضى!

(١٠٦)

هناك كلمات لذيذة: أتذوّقها قبل أن أكتبها.

وهناك كلمات من ذهب: أعلّقها على عنق حبيبتي.. قبل أن أعلّقها على أعناق الدفاتر.

وهناك كلمات فيها طفولة: ألاعبها، وأشترى لها الآيس كريم والشوكولاتة، وأحملها بين ذراعيّ حتى لا تسقط على حافة السطر.

وهناك كلمات فاتنة، أُحاول أن أغضّ الطرف عنها: ولا أدري إلاّ وأنا نائم معها!

وهناك كلمات برائحة الخبز: يأكلها الناس، ويشكرون الفرن والخبّاز..

ويقولون لك بمحبة: مخبزك «شعبي».. وخبزك «كعك».

وهناك كلمات منافقة: أبصق في وجهها كل يوم!

(١٠٧)

مشكلة عندما تدخل إلى «الملعب» ويتلبسك شعور أن «الحكم» ينظر إليك بنظرة كلها ريبة.. واستعداء!

تدخل إلى الملعب وعينك على جمهور الدرجة الثالثة. . وعينك الأخرى على المنصة الرئيسية!

ينتابك شعور أن الحكم سيرفع في وجهك «الكرت الأحمر» لا لأي سبب. . فقط لأن ملامحك لا تعجبه!

سأحاول ـ دائما ـ تسجيل «هدف» حتى وإن خرجتُ من الملعب بنقالة.

(١٠٨)

«الفزّاعة» التي تنصبها في أطراف الحقل، لن تمنع اللصوص من سرقة الفاكهة.

يجب أن يكون لديك «فأس» للحرث. . و«فأس» للقتال!

(١٠٩)

كل درب جديد تم تمهيده لكي يعبره المسافرون، والأفكار، والرحالة الحالمون. .

ومهما كانت النوايا طيبة وسليمة. . إلاّ أنه بعد فترة سيعبره «قطّاع الطرق» أيضاً!

(١١٠)

.. حتى «المثقف» ـ مع تراكم الشهرة وكثرة المريدين ـ يتحوّل الزمن إلى «سلطة».. يحتاج إلى من يكسر سطوته!

أنا هنا لا أتحدث عن «ثقافة السلطة».. أنا أتحدث عن «سلطة المثقف»

.. هذا الذي يمضي عمره ليكسر صنما ما ليتحوّل بعد زمن إلى صنم له!

(١١١)

الأفكار العظيمة لا تموت..

حتى صاحب الفكرة عندما يُفكّر بالتمرد على فكرته

لا يستطيع أن يقضي عليها بسهولة!

(١١٢)

الفرصة: عندما تأتي لا تُعلن عن نفسها..

وهي لا تأتي حسب أوقاتك المناسبة!

(١١٣)

في هذا الزمن: لا تستغرب إذا رأيت «الذئب» يهرول وراء «الثعلب» لكي ينجز له أمرا ما!

(١١٤)

(أن تكون سجينا في بلادك أفضل من أن تكون حرا في البلاد الغريبة)

هذه عبارة مثالية جداً، وغبية جداً جداً.

الحرية: هي بلادك.

(١١٥)

جرّب أن تقول لنفسك ولو لمرة واحدة «أنا على خطأ»!

وحاول أن تراجع أفكارك، وتصرفاتك، ومواقفك مع ـ أو ضد ـ الأشياء حولك.

حاول أن ترى ما تفعله بعيون الآخرين..

أخرج منك.. لتراك بشكل جيّد!

وتذكر: الذين يحاسبون أنفسهم كثيرا.. يخطئون قليلا.

(١١٦)

حتى العنكبوت..

يرى أن بيته الواهن من أقوى البيوت!

(١١٧)

عندما تزداد أعداد المخالفين حولك. . تصبح أنت وفكرتك أمام احتمالين:

ـ أما أن تتحصن فكرتك بالمنطق أكثر حتى تجابه خلافهم بوعي.

ـ وأما أن يتسرب التطرف لروحك ـ وفكرتك الهشة ـ وتبدأ إقصاء المخالفين.

(١١٨)

لا تحاكموا التفاحة الفاسدة. . وتنسوا: الشجرة!

(١١٩)

هروبك من «الماضي» لن يوصلك إلى «المستقبل» الذي تريده.

جابه ماضيك لكي تعرف كيف تجابه مستقبلك.

(١٢٠)

رغم كل الأنبياء والرسالات السماوية، والمصلحين والفلاسفة، والأفكار العظيمة التي أنتجتها البشرية. . رغم كل هذا لم تستطع «الحضارة» أن تروّض هذا الوحش الموجود في دواخلنا.

في فورة غضب واحدة يعود هذا الوحش كاسراً مفترساً ليكسر ويدمر كل ما حوله.

من لا يصدقني عليه أن يتابع «نشرة الأخبار» ويرى حجم القتل الذي يحدث في هذا العالم كل يوم.

(١٢١)

حتى الجمهور الذي يحبك وينحاز إليك.. هو في النهاية «سلطة»!

عليك أن تنتبه للقيد الجميل الذي يصنعه لك بخيوط المحبة.

(١٢٢)

عندما يعلمون أنك «نهر» لن يسألوا وقتها إلى أي «تيار» تنتمي!

(١٢٣)

حتى لو لم تكن محتاجا لأي أحد في هذا العالم

أشعر من هم حولك بحاجتك إليهم.

وأن الحياة لا طعم لها بدونهم.

أنت هنا لا تخدعهم.. أنت تعلن محبتك لهم.

(١٢٤)

درّب فمك على الابتسامة

إلى أن يأتي الوقت الذي يبتسم فيه دون أن تأمره بذلك!

(١٢٥)

الأطفال يحزنون عندما يعود الأب دون «اللعبة» التي وعدهم بها.

ولكنهم لا يعرفون كم هو حزين هذا الأب لأنه لم يستطع شراءها!

غداً سيكبرون ويعرفون طعم هذا الحزن.

ما الحل؟

أرمي لهم قلبي يلعبون به كأنه كرة.

ويبتهج القلب كلما ركلوه بمرح!

(١٢٦)

المشغول بجمع حسناته، هو الذي يردد دائماً: إن الله شديد العقاب.

والمشغول بارتكاب معاصيه، هو الذي يكتفي بترديد: إن الله غفور رحيم.

(١٢٧)

ابتسم..

واستدرج «عصافير» الفرح لكي تدخل «قفصك» الصدري.

(١٢٨)

الإنسان: كائن متوحش!

لم تهذبه الحضارة.. بل كبح جماحه القانون، وروّضته الأنظمة الصارمة.

ما أن تعم الفوضى إلاّ ويعود ليمارس وحشيته.

(١٢٩)

سينتهي كل هذا الضجيج ذات يوم.. وستسقط الكثير من الكلمات.

وحدها الكلمات الحقيقية ستبقى.

(١٣٠)

نغني للحرية وندعو للديمقراطية.. ولكن لم نتوقف لحظة لنسأل أنفسنا (في أعمالنا.. في بيوتنا.. في أي مكان نمتلك فيه «سلطة» صغيرة): هل نتعامل ـ مع من تطالهم سلطتنا ـ بديمقراطية؟.. أمِ أن في داخل كلٍ منا ديكتاتورا صغيرا؟

الحقيقة أنه في داخل الأغلبية منا يوجد هذا الديكتاتور الصغير.. وسيكبر إن لم يجد النظام والقانون الذي يوقفه عند حده!

كرسي الحلاق:

هو الكرسي الأكثر ديمقراطية في عالمنا العربي..

الجميع يستطيع الجلوس عليه!!

(١٣١)

المصور الجيد: قناص ماهر.

الفلاش: رصاصة تصيب.. ولا تقتل!

المشهد: عصفور في قفص.

الفن التشكيلي الحديث أتى ليفتح باب القفص!

(١٣٢)

«الفكرة» برق يلمع فوق رؤوسنا.. والعيون تختلف:

عين لا ترى هذا البرق.

وعين تراه.. فقط.

وعين تراه، وتقبض عليه، وتسحب الغيمة التي أنتجته!

دع ضجيج «الرعد» واشتغل على ضوء «البرق»

ستكتشف لاحقا أن «المطر» ينهمر من بين أصابعك!

(١٣٣)

(مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة)

عبارة رائعة.. شرط أن نحدد «اتجاه» هذه الخطوة

حتى لا تتحول إلى ألف ميل إلى «الوراء»!

(١٣٤)

لو كتبت كلمة «وزير» تليها مجموعة من النقاط، بهذا الشكل:

وزير..........!

لماذا يتعاملون مع الفراغ على أنه ممتلئ بحديث سيئ لم يُقل؟!

لماذا يتعاملون بريبة مع علامة التعجب(!) البريئة؟

هل الخلل في العبارة؟

أم في القراءة؟

أم في الحرية؟

(١٣٥)

لا تنظر إلى «المشهد» الذي تراه بعينيك فقط.

أنظر إليه بكافة حواسك..

لحظتها سترى ما لم تره من قبل.

(١٣٦)

أحياناً أؤمن أن الفضيلة تقف بين رذيلتين:

الشجاعة: بين الجبن والتهور، والكرم: بين البخل والإسراف.

وأحياناً أشعر بأن اللغة تتآمر مع الجبان الذي يصف الشجاع بأنه «متهور»..

ومع البخيل الذي يصف الكريم بأنه «مسرف»!

(١٣٧)

قال لها:

أنا وقتي من «ذهب»... وذهب!

قالت له:

امنحني من وقتك «الذهبي»

خمس دقائق «فضية»!

وأنا أمنحك كل ما في القلب من «ياقوت» و«زمرد» و«مرجان».

لا تتركني وحيدة..

مع «نحاس» الوقت، ونحسه!

(١٣٨)

مهما تقدمت بالعمر..

لا تجعل «ذكريات» الماضي تتفوق في أحاديثك على «أحلام» المستقبل.

(١٣٩)

الابتسامة: هي «الكلمة» الوحيدة التي تفهمها كل شعوب الأرض!

(١٤٠)

في لحظات الوداع قل ما تريد دون تردد، أو خوف، أو خجل..

فربما لا تمنحك الحياة فرصة أخرى لقول ما تريد.

(١٤١)

تعدد الألوان في الحياة يجعلها أجمل وأكثر بهجة.. فلماذا تصرّون على الأبيض والأسود فقط؟

هل أنتم حمقى، أم أن لديكم مخزوناً هائلاً من الكآبة، وتريدون أن تشاركوا الآخرين به؟!

(١٤٢)

يستطيع «السياسي» بما يمتلكه من أدوات أن يصنع لك «بالونا» وينفخه بطريقة مثيرة تشد انتباهك، ويركز عليه الأضواء ليتحوّل «البالون» إلى قضية رأي عام.. وينشغل الناس (ومعهم قادة الرأي العام!) بالبالون، وشكله، ولونه، وحجمه.. ويختلفون حوله.. و... و... و...!

وبعد فترة.. يفجّر السياسي «البالون» في احتفال مهيب، ويحظى بالتصفيق!

عزيزي القارئ: السماء مليئة بالبالونات الملونة.

(١٤٣)

عندما تكون تائهاً في الصحراء، وبيدك آخر علبة لأحد الأطعمة جاهزة..

ستكون حماقة كبرى إذا فكرت ـ لحظتها ـ بقراءة «تاريخ صلاحية» الطعام!

(١٤٤)

حتّى الذين لا يحبونك (وتعلم أنهم لا يحبونك) ابتسم في وجوههم..

ستكسب واحدة من اثنتين:

ـ إمّا أن ابتسامتك ستصنع درعاً ضد سهام كراهيتهم لك..

ـ أو أنك ستغيظهم أكثر!

(١٤٥)

لا تناقش «المؤمن» بالخلل الموجود في عقيدته أو مذهبه أو فكرته التي يؤمن بها..

من شروط الإيمان: عدم رؤية الخلل!

(١٤٦)

عندما تبدأ نار الشهوات بالانطفاء في داخلك.. لحظتها سينبعث ضوء الحكمة.

(١٤٧)

لا تحاصر حركات «قلبك».. ولا تجعله يمارس فوضاه كما يريد.

راقبه بحذر!

إذا احتجزته: قتلك.

وإذا تركته على هواه: أتى لك بـ «مصيبة» حسناء!

(١٤٨)

الناس: (نيجاتيف).

الحياة: معمل تحميض!

(١٤٩)

الشهرة سهلة: اخرج عارياً أمام هذا العالم!

المجد صعب: انسج - وبهدوء - ثوب حكمة يستر عري هذا العالم.

(١٥٠)

كم هو قاسٍ ومؤلم أنْ تكتشف في آخر العمر أنك لم تكن سوى «جندي» صغير في لعبة شطرنج كبرى!

(١٥١)

هذا الشال جميل جدا.. ولكن شعرك أجمل منه بألف مرة

هذا الفستان لوحة رائعة.. ولكنه يغطي لوحة أروع!

(١٥٢)

يقدم لك ساندويتش «برغر» من الحجم الكبير برفقة كأس من «حليب النوق»!

يظن أنه بهذا الشكل يزاوج بين الأصالة والمعاصرة وقدّمها لك عبر وجبة واحدة.

هكذا هي أفكار بعض المفكرين العرب:

لا تسمن، ولا تغني من جوع.. بالإضافة إلى أنها قد تجلب لك الغثيان!

(١٥٣)

لديه سيف مرصع بكل ما هو ثمين.. ولكن، ما الفائدة؟

قلبه لم يكن مرصعاً بالشجاعة.

فالقلم الثمين ذو الماركة الفاخرة.. لا يعني أنك ستكتب نصاً فاخراً.

(١٥٤)

الضوء الذي يلمع من بعيد.. لعله نار لشيء يحترق.

والنار التي تراها مشتعلة.. لعلها ضوء لشيء قادم.

لا تمنح «الدخان» الفرصة ليربك المشهد أمام عينيك!

(١٥٥)

أبناء المجتمعات التقليدية والمحافظة جداً.. هم أبناء الأعراف والتقاليد، والنماذج الاجتماعية الجاهزة، والمُقدسة رغم أخطائها وسذاجتها.. تمضي نصف أعمارهم ما بين محاولات التحرر من هذه القيود المتوارثة.. وما بين الحروب مع حراس التقليدية.

مع مرور الزمن يتحولون إلى «حراس جدد» بطبعة مختلفة..

أو أنهم ـ ودون شعور منهم ـ يكونون وقوداً لآلة التقليدية لتستمر بالحركة!

أسوأ ما تواجهه أي فكرة تقليدية هو أن يأتي خصمها من داخلها!

(١٥٦)

المرأة، منذ العاشرة من عمرها، تعرف كيف تكون «الأم»

أما الرجل، فمن الممكن أن يمضي به العمر، ويملأ البيت بناء..

ولا يعرف كيف يكون «الأب»!

(١٥٧)

هنالك من يضع فوق رأسه (عمامة) الشيخ.

وهناك من يرث (طربوش) الباشا، وأمواله.

وهناك من يفضّل (طاقية الإخفاء)!

وهناك من يختار (القبعة العسكرية).

وهناك من يصحو من النوم، ويجد (التاج) بجانب سريره!

....

....

أنا لا يوجد فوق رأسي أي من هذه الأشياء..

أحب أن أدخل إلى العالم برأس حر!

(١٥٨)

الحب..

هو أن تعود طفلاً..

يأخذك الماء من يدك، ليعلمك المشي من جديد..

«تاتا».. «تاتا»!

يدخل بك عوالم حدّها: اللا حد

يفتح شباك غرفتك الذي كان يطل على إزعاج الشارع

لتكتشف أنه يطل على ألف بحر وبحر!

يعطر الفضاء

يخيّل لك أن الأكسجين عاد للتو من حفلة عرس

وأن ثاني أكسيد الكربون أصبح طيباً، وغير خانق!

(١٥٩)

الحر لا يتباهى بحريته.. لأنه يراها أمراً طبيعياً.

(١٦٠)

الجهل في السياسة.. سياسة!

(١٦١)

فرق كبير بين العين التي «تنظر» والعين التي «ترى»!

(١٦٢)

عدم معاقبة اللص الكبير..

دعوة لولادة الكثير من اللصوص الصغار!

(١٦٣)

- بالعامية:

أدري القلب من رفضك: جثث

وأدري الدرب من ركضك: لهث

يا اللي بهدمك.. ننبني!

لا تنحني..

ما انخلق هـ «الرأس» في الأعلى عبث!

(١٦٤)

بيوتنا بلا أبواب..

نخاف أن يأتي الضيف ويخجل أن يطرقها

نخاف - وفي غفلة منّا - أن تغلقها الريح في وجه عابر سبيل!

(١٦٥)

لكي تحافظ على الجغرافيا.. احفظ التاريخ.

(١٦٦)

كل شعب له «رقصته» وطريقته لابتكار الفرح.

من أكثر الشعوب مدنية وتحضراً إلى أكثر القبائل بدائية في أدغال أفريقيا.

كل جماعة تبتكر «رقصتها» الخاصة..

إذاً، مَن هذا التافه الذي قال لنا: (من رقص.. نقص)؟!

(١٦٧)

خيالي يتذكر، ذاكرتي تتخيّل!

(١٦٨)

الإدارة الأمريكية ابتكرت في الشرق الأوسط ما يُسمى «الفوضى الخلاّقة».

إما أن هذه الإدارة تكتب شعر ما بعد بعد الحداثة..

أو أنها تنتج أفلام رعب لا تعرف نهايتها!

(١٦٩)

هذا القصر ـ بلا أطفال ـ كأنه مقبرة أنيقة!

(١٧٠)

للصقر: حريته

وللبلبل: صوته الجميل

وللطاووس: جماله الأخّاذ

أما «الديك» فلا يمتلك حرية الصقر

ولا صوت البلبل، ولا جمال الطاووس..

ولا يطير مثل بقية الطيور..

ومع هذا تجده متغطرساً ومغروراً.

ما أكثر أشباهه من البشر!

(١٧١)

بارد وموحش.. كل سرير لم تزره امرأة!

(١٧٢)

عندما تهبّ الريح العاصفة على البلاد

لا يبقى ثابتاً في وجهها سوى الأشجار العتيقة

ذات الجذور الثابتة في أعماق الأرض.

(١٧٣)

رأسه: قبو

أفكاره: نبيذ..

وكلما تأخرت بالخروج من قبوها..

كلما «تعتقت» بالحكمة أكثر.. وأسكرتنا!

(١٧٤)

هذا الكاتب..

رئته تدربت على استنشاق الأكسجين وإعادة إنتاجه..

لهذا: لم ـ ولن ـ يختنق!

(١٧٥)

الأبطال الحقيقيون.. يموتون!

(١٧٦)

عندما تقوم بسرقة «مصرف».. أنت لص.

عندما تقوم بسرقة «بلد».. أنت من الأعيان!

هذا ما يسمونه في العالم العربي «الخصوصية» الوطنية

(١٧٧)

اليد التي تحمل البندقية وترتجف.. يدٌ فارغة!

(١٧٨)

نحن أمة تعودت على أن تكتب تاريخ ما يحدث. .

ولم تتعود على أن تضع على الهامش نقداً ـ ولو قليلاً ـ لما ث.

وليتنا كنا نسجل ما يحدث كما حدث. .

بل إننا نسجله كما يريد صانع الحدث!

(١٧٩)

المُدن. . ابتكرت لكل شيء سجناً!

حتى «الماء» محبوس في النوافير والمواسير.

(١٨٠)

ما الذي يجعل «نابليون» رجلاً عظيماً و«هتلر» رجلاً سيئاً وطاغية وكلاهما لا يجيد سوى الغزو وإشعال الحروب؟.

إنهم المؤرخون. . وأشياء أخرى.

احصل على «مؤرخ» سيئ. . تحصل على «تاريخ» جيد!

(١٨١)

لا شيء أقسى من اشعور بالخيانة:

كأنك تشرب دمك..

في كأس صُنعت من لحمك!

(١٨٢)

جميل أن تجرؤ على قول «لا» عندما يجب أن تُقال.

الأجمل أن تجرؤ على قول «نعم» عندما يجب أن تُقال، دون أن تهتم بردة فعل جماهير الـ «لا»!

(١٨٣)

«الجماهير» دائما بحاجة إلى «بطل»..

فإن لم تجده في أرض الواقع، رسمته في سماء الخيال!

تصنع له أجنحة خيالية، وتجعله يطير في فضاءات أحلامها

تؤلف عنه الحكايات الخرافية..

وتُسمّى الأولاد باسمه!

(١٨٤)

الحرب:

العالم ينزع رأسه، ويستبدله بحذاء عسكري!

(١٨٥)

الحوار ـ كما أراه وأؤمن به ـ هو أن تأتي فكرتي لكي تتلاقح مع فكرتك، لكي تولد فكرة ثالثة.

فكرة أروع.. خالية من عيوب الفكرتين.. فكرة نتشارك بالإيمان بها والدفاع عنها.

هنالك من يرى أن الحوار فرصة لـ (قول) ما يريد أن يقوله الآخر..

ولا يفكر أنه فرصة ـ أيضاً ـ لـ (سماع) ما يريد أن يقوله الآخر له!

(١٨٦)

قال لي العصفور الحر:

عشٌّ بسيط، على غصن شجرة جرداء..

أجمل من قفص ذهبي!

(١٨٧)

متى نعرف أن هنالك فرقاً شاسعاً وكبيراً بين «الخلاف» و«الاختلاف»؟!

وأن امتلاكنا لنفس «العين».. لا يعني اتفاقنا على «نظرة» واحدة!

الخلاف: فقر.

الاختلاف: ثراء.

(١٨٨)

سألني أحد الأصدقاء:

ما الفرق بين (الغناء) و(الغباء)؟!

قلت له: نقطة..

(ارتفعت) في النون.. و(انحنت) في الباء!!

(١٨٩)

الخط المستقيم يؤدي إلى الهندسة.

الخط «غير المستقيم» يؤدي إلى الفن. جرّب!

(١٩٠)

في بيروت..

كل شباك له نصيبه من البحر.. والنوارس!

بل ـ أحياناً ـ تشعر بأن البحر يقف على عتبة الباب

ليقول لك: صباح الخير.

(١٩١)

عندما تُدخل يدك في «فرن» الكتابة..

لا تصرخ لأن إحدى أصابعك لسعتها فكرة ساخنة!

(١٩٢)

الأساور: قيود أنيقة.

ربطة العنق: مشنقة صغيرة.. وجميلة!

القفازات: حتى وإن كانت مصنوعة من الحرير..

لن تكون أجمل وأصدق من الكف الحرة العارية.

(١٩٣)

الطين: هو خوف.. وحلم.

الماء: يخاف أن يتحوّل إلى تراب..

التراب: يحلم بأن يتحوّل إلى ماء!

(١٩٤)

الدمعة: بحر صغير

البحر: دمعة كبيرة

لكي تصل إلى المعنى، لا تتخيّل الشاطئ الضيق.. تخيّل اتساع

ن!

(١٩٥)

«المخرج» الجيّد هو الذي يجعلنا نحب المجرم وننحاز إليه . .

ونتمنى ـ في نهاية «الفيلم» ـ أن ينتصر على القانون!

(١٩٦)

عند التاجر . .

أي جلد، لأي كائن، هو مشروع لصناعة حذاء فاخر!

(١٩٧)

فقط، الأشجار المصنوعة من البلاستيك، أوراقها لا تذبل!

(١٩٨)

الفرق بين (الحرية) و(الجزية): نقطتان . .

من منكم يمتلك الممحاة؟!

(١٩٩)

(القفص) الصدري لن يستطيع أن يسجن (عصافير) القلب.

(٢٠٠)

التاريخ: ليس دائما كاتبه (ابن خلدون)..

في بعض الأحيان يكتبه (ابن كلب)!

(٢٠١)

لكل شيء إيقاع.. حتى الصمت!

(٢٠٢)

البائع: يعرف الثمن..

المشتري: يعرف القيمة!

(٢٠٣)

بيتنا القديم، كان أشبه بقصيدة موزونة مقفاة

رممناه

فكسرناه!

(٢٠٤)

الحرية: هي أن تختار «قيودك» كما تشاء!

(٢٠٥)

مهمة «الفنان» أن: يتخيّل

مهمة «العالم»: تحويل هذا الخيال إلى واقع

مهمة «الناقد والمؤرخ»: أن يراقب ما يحدث بكسل.. ليصفه بعد هذا كما يشاء!

(٢٠٦)

ليس ذنب المطر أن هذا التراب تحوّل إلى وحل ولم يصبح غابة!

(٢٠٧)

«غداً» لن يأتي.. لأنه سيأتي غداً!

(٢٠٨)

وجود «هتلر» في تاريخنا الحديث علّمنا:

أن أي فكرة متطرفة، تنبت في رأس أحدهم، وتكبر ـ دون أن ينتبه لها أحد ـ من الممكن

أن تكلف البشرية أكثر من ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ قتيل.

(٢٠٩)

لا ذنب للعنب بما يفعله النبيذ.. ولا مجد!

(٢١٠)

الزهرة: كائن جميل.. نقتله لكي نحيي علاقة ما!

(٢١١)

أسوأ ما تواجهه الفكرة - أي فكرة - هو أن يؤمن بها أحمق،
نع عنها بحماسة.
رفضه لها أقل تشويهاً من إيمانه بها!

(٢١٢)

أسوأ ما يمكن أن يتعرض له (فمك) في هذه الحياة:
أن (تغلقه) السلطة و(يفتحه) طبيب الأسنان!

(٢١٣)

القناعة: كنز الفقراء.
والفقر: سياسة.
والسياسة: توزيع هذا الكنز على الفقراء!

(٢١٤)

من يهضم الماضي بطريقة خاطئة.. يتقيأه المستقبل!

(٢١٥)

الكتابة: ليست حبة إسبرين

الكتابة: عملية قلب مفتوح!

(٢١٦)

«الأغلبية» ليست دائما على حق..

رغم أنها تمتلك الضجيج!

(٢١٧)

الأكسجين الذي يخنقنا.. هو «أكسجين» مشبوه!

لا تصدق المدافعين عن الهواء المُلوّث لأنهم سيقولون إن الخلل في أنفك.

(٢١٨)

ليست الأجساد وحدها التي تُوصف بالطهر والعهر.. «الكلمات» كذلك!

(٢١٩)

«المشهد» واحد.. الفرق يكمن في عيون المشاهدين.

هنالك عين نظرتها (ثاقبة).. وعين نظرتها (مثقوبة)!

(٢٢٠)

ما أكثر المعارك الوهمية التي نتخيلها..

ونتحفز لخوضها، وهي لم - ولن - تحدث أبدا.

(٢٢١)

أؤمن بأن «الجمال» موجود في كل الأماكن.. حتى الأماكن القبيحة!

لكي تراه.. أنت بحاجة لعين مدربة لالتقاطه وروح مدربة للاحتفاء به.

(٢٢٢)

هناك من يؤمن بالتغيير.

هناك من يُقاتل لأجله.

وهناك من يُراقب - وبصمت - من وراء ستار..

ينتظر اللحظة المناسبة ليحظى بنصيبه من الغنائم!

(٢٢٣)

قام اللص الأصغر بسرقة اللص الأكبر فابتهج الفقراء!

(٢٢٤)

لا نرى وجوهنا سوى في المرايا..

من الذي قال إن المرايا تَصْدُق في كل ما تقوله؟

(٢٢٥)

بعض ما ينمو فينا ـ من مشاعر وأفكار ـ يحتاج إلى القصّ أو النزع.. تماما مثل الشعر الزائد!

(٢٢٦)

حتى العقل يحتاج إلى تمرين..

لا تجعل عقلك يفقد لياقته.

(٢٢٧)

«ثقافة الضجيج» لا تنتج الأفكار.. فقط تنتج الصراخ والأصوات المزعجة.

ومن يمتلك «الميكرفون» يصبح سيّد المشهد المشوّه!

(٢٢٨)

من يكتب وهو «مسنود» من جهة ما.. أقول له:

العكاز: لا يعني أن لديك ثلاثة أقدام..

العكاز: يعني أن إحدى قدميك فيها خلل ما!

(٢٢٩)

«لكل قاعدة استثناء».. كن أنت الاستثناء الجميل

لكل قواعد القبح حولك.

(٢٣٠)

أزمة الرهن العقاري أخبرتنا أنه:

عندما تعطس أمريكا، يُصاب العالم بالأنفلونزا الحادة!

(٢٣١)

عندما صافحها الأعمى رأى ما لم يره الآخرون.

كانت عيونهم: أصابع

كانت أصابعه: عيون!

(٢٣٢)

لا تنحني مثل علامة استفهام

قف في وجه العالم مثل علامة تعجب!

(٢٣٣)

كل جيوش العالم وطغاته لا يستطيعون نزع حريتك منك.

وحدك أنت، تستطيع أن تنزعها من نفسك، عندما تُفرّط فيها.

كم من طليق مستعبد..

وكم من سجين حر!

(٢٣٤)

في حياتنا نلتهم كل ما على الأرض من مخلوقات.

بعد موتنا تأتي أدنى المخلوقات لتلتهمنا: «دودة» الأرض!

(٢٣٥)

كن الأكسجين عندما يشعر الآخرون بالاختناق.

درِّب قلبك على أن يكون باتساع الكون.

تذكَّر أنك ستموت بعد سنوات قليلة...

ووحدك من يُقرّر: هل ننساك.. أم نتذكرك؟.. وكيف ستتذكرك؟!

(٢٣٦)

في الطاولة المقابلة.. فتى وفتاة

أراهما: واحداً رائعاً.

وأنا وحدي.. وكنت: كثيراً!

(٢٣٧)

السياسة: هي أن تُقدم الوعود الرائعة، ثم تبتكر طرقا أكثر روعة للتملص من تنفيذها!

(٢٣٨)

بعض الأسئلة أحلى من كل الإجابات المحتملة.

بعض الأسئلة.. جمالها ألا تجد لها جواباً!

(٢٣٩)

عجباً لهذا «المستبد»..

في كل العصور ومع اختلاف الأماكن يكرر نفس الأخطاء!

(٢٤٠)

ـ من الذي قال إن الفراغ: فراغ؟!

ـ لا بد أنه رجل لا «يرى».

(٢٤١)

(من حفر حفرة لأخيه وقع فيها) عبارة مثالية، تدّعي أن النهايات عادلة وطيبة والدليل أن الحُفر ممتلئة بـ (الإخوة) المغدور بهم!

(٢٤٢)

أحياناً..

الفوضى: شكل من أشكال النظام السريّة

النظام: شكل من أشكال الفوضى المعلنة!

(٢٤٣)

بعد أن تم شراؤه مؤخراً وبمبلغ مرتفع، قال لي:

لا تكابر.. بالمال تستطيع أن تشتري أي شيء.. فقط تختلف الأسعار!

(٢٤٤)

حتى «الشرّ» نفسه يظن أنه «خير» أحياناً!

(٢٤٥)

الأشياء الجيدة تبقى جيدة حتى إن كان مصدرها الأعداء

الأشياء السيئة تبقى سيئة حتى إن كان مصدرها البيت الذي نسكن فيه!

(٢٤٦)

سألني: ما الذي تعنيه الكتابة لك؟

قلت له: رئة ثالثة..

لم يلوثها «دخان» السجائر ولا «دخون» السلطة!

(٢٤٧)

قلت لصديقي: الفرق بينك وبينهم..

أنهم يقولون الكذبة بشكل رائع

وأنت تقول الحقيقة بشكل بائس.

لهذا، كذبتهم أكثر رواجاً وجاذبية من حقيقتك.

للأسف.. حتى الحقيقة بحاجة إلى قليل من الماكياج!

(٢٤٨)

لا توجد «أخلاق» نهائية.. فكل مجتمع يبتكر «أخلاقه الجديدة» حسب ظروفه الاقتصادية والسياسية لكي يُرضي «ضميره الأخلاقي»!

وما نراه نحن على أنه فعل «غير أخلاقي». . هو أخلاقي جداً لدى الآخرين.

(٢٤٩)

قلت لشيخي النحوي:

أخبرني - يا رعاك الله - عن إعراب الجملة التالية: (المواطن العربي..)

قال، بعد أن مال في جلسته، وتنحنح ثلاث نحنحات طيبات: مفعول به..

والفاعل: ضمير مستتر تقديره «هم»!

وفي إعراب آخر، الفاعل: ضمير بلا ضمير.

قلت له:

(المواطن).. هل هو مرفوع أو منصوب أم مجرور؟

قال: حسب موقعه من الجملة.. والحدث!

وأضاف لا فض فوه:

أحياناً يكون «منصوبا» عليه، وأحياناً «مرفوعاً» على الأعمدة والخوازيق، وفي مواقع أخرى تجده «مجرورا» على أنفه المكسور، وعلامة جرّه البؤس الواضح على ملامحه.

(٢٥٠)

لا فرق بين بعض قصائد النثر الجديدة.. وبعض تصريحات ساسة:

كلاهما لا تخرج منهما بشيء!

(٢٥١)

في هذا الزمن السريع والمضطرب والضاغط على الأعصاب، لم المريض من يذهب إلى العيادة النفسيّة.. بل المريض ـ وبصدق ـ ن يرفض الذهاب إلى العيادة النفسية!

(٢٥٢)

أهله: التلفزيون.. بقنواته المتعددة.

جدته التي تحكي له الحكايا: مجموعة من الألعاب الإلكترونية.

أصدقاؤه: الكائنات الافتراضية في «الشات».

أي «إنسان» مشوّه ستنتجه لنا الألفية الثالثة؟!

(٢٥٣)

الفكرة الهشة: هي تلك التي دائما ما تسمع صراخ أتباعها..

لأنهم إذا ما حدثوك بهدوء، بانت عورة فكرتهم!

الفكرة الهشة.. أمامها خياران:

إما الموت بشكل طبيعي.. أو قتل خصومها!

(٢٥٤)

قال اللص:

لا تدَعِ الأمانة.. طالما أن الحياة لم تمنح «السوء» في داخلك أي فرصة للظهور!

عندما تكون مسؤولا عن عشرة ملايين دولار، وتحافظ عليها.. لحظتها سنقول عنك إنك نزيه وأمين.

وأضاف: جميعنا مشاريع لصوص!!

(٢٥٥)

«السجن للرجال».. مقولة عربيّة تدّعي الحكمة!

والحقيقة أن السجن للصوص وقطاع الطرق والقتلة..

ولكن لأن السجون العربية ممتلئة بالرجال الشرفاء.. ابتكرنا هذه العبارة!

(٢٥٦)

«عصافير الأقفاص»..

تسكن القصور، وتنعم بالدفء

وكل صباح يأتيها في قفصها الماء

ويُنثر لها: الحَب والحُب.

وحده «الصقر» لم ينعم بتلك الرفاهيّة..

اكتفى بنعمة الحريّة!

(٢٥٧)

قال لي إنه يحب الشتاء في هذا البلد.

قلت له: إنني أحب هذا البلد في كل الفصول.

(٢٥٨)

(العقل السليم في الجسم السليم).. ما أغبى هذه العبارة!

(٢٥٩)

الحب: قصيدة مكسورة.. إذا وزنتها اختلت!

(٢٦٠)

بعض الأشياء.. اقترابك منها يجعلك تراها بوضوح.

وبعض الأشياء.. ابتعد عنها لكي تراها بشكل أوضح!

(٢٦١)

الانتصارات تمنحك البهجة.

الهزائم تمنحك الحكمة.

البهجة لحظات وتنطفئ.

الحكمة تضيء إلى الأبد.

(٢٦٢)

اللمسة ـ أحياناً ـ تقول أكثر مما تقوله الهمسة.

عند المصافحة:

لا تجعل أصابعك تثرثر أكثر من اللازم!

هناك أصابع سيئة ترتكب الحركات البذيئة.

وهناك أصابع رائعة تبتكر اللمسة الساحرة.

وهناك أصابع نبيلة تمسح على رأس اليتيم.

وهناك أصابع عاشقة تتسلل إلى كل الأماكن الخفيّة

(برشاقة وخفة اللص الظريف) لتزرع في كل خليّة

بستاناً من العنب.

(٢٦٣)

النار: حجر يلمس حجر

الماء: غيمة تلمس غيمة.

(٢٦٤)

ستقول لنفسك مبرراً تخاذلك:

أنا لم أجلب هذه البذور الفاسدة.

أنا لم أشارك في زراعة هذه الشجرة الفاسدة.

أنا لم أعمل في حراسة هذا البستان الفاسد.

وسيقول لك التاريخ:

أنت لم تشارك في نزع هذه الشجرة الفاسدة.

أنت لم تنبه الناس لكي لا يتناولوا فاكهتها الفاسدة.

أنت مثل الشجرة.. «فاسد» بشكل ما!

(٢٦٥)

كل الفنون تحلم أن تصل إلى الموسيقى.

كل الكلمات تحلم أن تتحول إلى شعر.

(٢٦٦)

أشياء بسيطة من الممكن أن تمنحك الكثير

دون أن تكلفك أي شيء.. منها: أن تبتسم في وجوه الناس.

(٢٦٧)

هناك عبارة حكيمة تقول: «إن الحكومة الجائرة خير من الفوضى»

أرجو ألا تقع هذه العبارة في يد حاكم غير حكيم.

بلدنـــا

عندما تغني للبلاد.. لا تخف.
لا قيمة للأغاني الخائفة!



يا بلدنا.. اسمعي «كلماتنا» الطيبة!

(١)

لماذا نصاب بالفزع من بعض الكلمات التي تقال عنا، وعن أوضاعنا الداخليّة؟

علينا أن نفزع من الكلمات التي (لا تقال)..

أو تلك التي تقال همساً في الأقبية، والمجالس السرية، والأماكن المظلمة.

(٢)

الكلمة التي (تقال) لا تخيف.

الكلمة التي (لا تقال) مخيفة جداً، ولا تدري بأي لغة ستأتي.

الكلمة التي (تقال) هي كلمة صحية - حتى وإن اختلفنا معها - لأنها تقال في الهواء الطلق.

الكلمة التي (لا تقال) هي كلمة مريضة - حتى وإن اتفقنا معها - لأنها تخرج من الظلام والأماكن الخانقة.

الكلمة التي (تقال) هي كلمة شجاعة، وصاحبها شجاع.

الكلمة التي (لا تقال) هي كلمة خائفة، أو خائنة، أو تخطط لشيء مريك!

الكلمة التي (تقال): علاج.

الكلمة التي (لا تقال): مرض!

(٣)

«الكلمة» التي يغلق في وجهها باب التلفزيون الرسمي، ستجد ألف محطة فضائية تفتح لها الأبواب والنوافذ.

«الكلمة» التي تستقبلها الصحيفة بمقص يُمزق ملابسها، ستذهب إلى الإنترنت، ليزفها إلى كافة الأرجاء، عبر ألف موقع وموقع، وهي بكامل ملابسها الأنيقة.

(٤)

لم نعد بحاجة لنفعل مثل المراهقين ونكتب (لا) على أحد الجدران في إحدى الحارات الضيقة.

«الإنترنت» يمنحنا جداراً إلكترونياً نكتب عليه الـ(لا) وتراها كل الحارات في كل الدنيا، ولن يستطيع أعتى «رئيس بلدية» أن يقوم بمسح «خربشات» الأولاد الأحرار من الشوارع الإلكترونية و«تنظيف» جدرانها الافتراضية.

(٥)

لا تخافوا من «الكلمات». .

خافوا من «الصمت» عندما يخرج من قبوه المظلم/ الموحش/ البارد/ الخانق. . ويصرخ فجأة!

(٦)

في زمن البث الفضائي المفتوح. .

في زمن الإنترنت. .

في زمن الهواتف النقالة التي بإمكانها استقبال «كتاب» كامل عبر رسالة قصيرة.

في هذا الزمن، والذي تنتقل فيه المعلومة أسرع من الإشاعة، والخبر يكاد يصل إليك حتى قبل أن يحدث!

في زمن ثورة التقنية، ووسائل الاتصال: أي ساذج هذا الذي يظن أن «كلماتنا» ستبقى حبيسة في أفواهنا؟!

(٧)

يا بلدنا. . إسمعي «كلماتنا» الطيبة.

فنحن أولادك الطيبون، الذين يحبونك، ويخافون عليك أن تصابي بالصمم!

من المواطن محمد بن رطيّان الشمري
إلى أعضاء مجلس الشورى السعودي مع التحية

أنا / محمد بن رطيان الشمري، من سكان المنطقة الشمالية، محافظة رفحاء.

مواطن سعودي، متزوج، ولي من الأولاد خمسة، وأعمل موظفاً في إحدى الشركات.

أكتب في الصحافة المحلية والعربية:

١ ـ عندما مرض أحد أقاربي أجريت ألف اتصال، وقبّلت ألف أنف، وشكرت ألف صديق حتى أستطيع نقله إلى أحد المستشفيات الحكومية «الجيدة» في مدينة الرياض.

٢ ـ مثل الأغلبية العظمى من شعبنا العظيم: خسرت «تحويشة العمر» في سوق الأسهم.

٣ ـ أبحث عن ألف واسطة وواسطة لكي أوظّف أخي وفي أي وظيفة ممكنة.

٤ ـ لم يعد يعنيني ارتفاع أو انخفاض أسعار النفط.. فالبراميل ليست براميلي!

٥ ـ ما تزال بنوكنا المحلية الموقرة (والتي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها) تشاركني ثلث دخلي الشهري.

٦ ـ أتمتع بنفس «الدلاخة» التي يتمتع بها الشعب السعودي العظيم بتأثير «الكبسة» اليومية.

لهذا أنسى وبسرعة أن كيس البصل ارتفع سعره من (٧) ريال إلى (٣٠) ريالا.. ولأنني أصدق الحكومة، أصدق ما يقوله تصريح وزارة التجارة بأنه لا يوجد ارتفاع في الأسعار، وأن الوزارة تراقب السوق!!.. وأبدأ بتكذيب نفسي لأن «الشيوخ أبخص».

٧ ـ لم أعد أوزع اللعنات على حكام مباريات كرة القدم عند هزيمة منتخبنا الذهبي!

٨ ـ أصبحت أكثر حكمة.. أي أقل شجاعة!

٩ ـ لا توجد لديّ أي مشكلة شخصية مع وزير الصحة ولا وزير التجارة ولا وزير الخدمة المدنية ولا وزير بلا وزارة!.. ثم من أنا حتى أتمشكل مع أصحاب المعالي الوزراء؟!.. كما أنني لا أنتظر من أي وزير أي ترقية أو نقل أو حظوة أو «شرهة»!

أنا محمد بن رطيان الشمري، مواطن بسيط من محافظة رفحاء:

لديّ شهادة «حسن سيرة وسلوك» عليها ختم العمدة، ومُصدقة من مدير شرطة رفحاء!

ولكن هذا لن يمنعني من طرح سؤال واحد، ووحيد، ولطيف، وخفيف، وبريء:

السادة «أعضاء مجلس الشورى السعودي» وش شغلتهم؟!!
إذا فاضين. . يا ليتهم يقرؤون الفقرات التسع في الأعلى
أو عليهم حل الكلمات المتقاطعة في منازلهم. . فهذا أفود!!

سلمان العودة.. الشيـخ والشك

(١)

أنصار «الجمود» يتهمونه بـ «التغيّر». .

لا يعلمون أنه الوحيد الذي يتغيّر لكي يبقى أكثر ثباتاً!

و: الذين لا يتغيّرون. . لا يُغيِرون.

(٢)

هو: شيخ بمواصفات نجم. .

وكثيرون هم الدُعاة الذين يشاركونه أضواء الشهرة. .

وقلة قليلة تلك التي تمتلك «الضوء» الذي يمتلكه سلمان العودة.

(٣)

نفس الأسباب التي دعت البعض لبغضه هي نفسها التي جعلت الأغلبية تحبه.

الأسباب واحدة، والرجل واحد، وردة الفعل تختلف حسب اختلاف الوعي وحسب الأفكار المسبقة!

(٤)

عندما يحبونه، يقولون عنه: الشيخ السعودي.

عندما يكرهونه، يسمونه: «الشيك» السعودي.

ودائماً هنالك من يراقبه بحذر، ويسميه: «الشك» السعودي!

(٥)

هل نستطيع الكتابة عنه دون المرور على «عليشة» وتأثيراتها؟

وهل يرضى الرقيب بمرور هذه الفقرة؟!

(٦)

انشغل غيره بتحريم «الدش» والفضائيات..

وانشغل هو بكيفية استغلالها من أجل الدعوة.

قالوا له تركت «درسك» في المسجد والذي يحضره آلاف الأتباع

ونسوا أن درسه الأسبوعي في «الإم بي سي» يحضره عشرات الملايين من الأتباع والمريدين والمراقبين والخصوم.. ومن كافة جهات الأرض.

طبعاً، سيأتي أحدهم ليقول، وبسذاجة:

يا للأسف.. الشيخ يُفضّل الإم بي سي على المسجد!

(٧)

كل يوم ينسبونه إلى «تيار» مختلف..

ألم يلاحظوا أنه «نهر» لوحده؟!

(٨)

هو مثله مثل أي شخصية شهيرة.. له جمهور وأتباع.

عينه على المشروع الذي يتقدم إليه.. وعينه الأخرى على الجمهور.

إحدى قدميه تتقدم.. والأخرى تكبلها الجماهير.

والجمهور: سُلطة.. مثل أي سلطة أخرى.. بل هو أشد وأقسى أحياناً

لهذا اعتاد أن يُفجر في وجوههم كل فترة «بالون اختبار»

لكي يعرف ردة فعلهم تجاه أمر ما.. أو لكي يهيئهم للخطوة القادمة!

(٩)

في اللحظة التي ارتطمت فيها الطائرة الأولى بمبنى التجارة العالمي

ارتطمت ألف فكرة وفكرة برأسه..

وقبل أن ينهار المبنى الثاني: استوعب ما حدث!

رأى كل ما سيحدث لاحقاً، وقرأه بعناية فائقة، واستعد له بشكل جيّد.

عرف أن مرحلة انتهت، ومرحلة جديدة (محملة بالعواصف والأعاصير) قد بدأت. . لهذا هو: رجل كل مرحلة.

ـ إذاً، لماذا تأخرت رسالته لـ «بن لادن» أكثر من ست سنوات؟!

ـ للجمهور. . سلطته!

(١٠)

يظلمه من لا يرى فيه سوى: داعية.

ويجهله من لا يرى فيه: دهاء الساسة!

(١١)

كنت، وما زلت، وـ أظن أنني ـ سأظل: أحبه.

١٠٩ مليارات.. وين راحت؟!

قال الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام:

«إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

(١)

تقرير ديوان المراقبة الأخير: مخيف ومبهج!

مُبهج لأننا أصبحنا بهذه الشفافية: نُعلن عن «ضياع» ١٠٩ مليارات ريال.. ونناقش مثل هذا الأمر في مجلس الشورى.

مخيف: لأن هذا فقط ما وصل إليه ديوان المراقبة، فكم من «مليار» يا تُرى لم يصل إليه الديوان بسبب محدودية صلاحياتهم بوجود (جهات) لا تشملها المراقبة، أو لأن هنالك مليارات تختفي بشكل جيّد حتى إن العين المجردة لا تستطيع رؤيتها.. بل ولا حتى بالمجهر!

١٠٩ مليارات يا قوم؟!.. نحن لا نتحدث عن ١٠٩ ريالات أو

١٠٩ آلاف أو ١٠٩ ملايين.. بل ١٠٩ آلاف مليون ريال... ريال ينطح ريال!... وعُشر العشر من هذا المبلغ كفيل بهز حكومة بأكملها لدى الدول المتقدمة حضارياً، ولدينا لا يهز إدارة صغيرة!

مسكين رئيس إحدى الحكومات، سيقدم استقالته، ويحاكم بتهمة الفساد، والسبب: خمسون ألفاً.. يا بلاش!

(٢)

نُشر هذا التقرير.. وسيصرخ مواطن في مكان ما: «وبعدين»؟!

ماذا سيحدث بعد ذلك؟

كم من يد سيتم قطعها؟

هل ستكون هناك آلية وأنظمة وعقوبات صارمة تمنع تكرار ذلك مستقبلاً؟

(٣)

هذا المبلغ الضخم يؤكد لي أن لدينا الكثير من اللصوص.

(كأني أسمع صوت قارئ، يقول لي ساخراً: لا يا شيخ.. توّك تدري!)

وسأقول له: صبرك عليّ يا أخا الوطن.. فهذه فرصة لتمرير ما لا يمكن تمريره!..

لأني أريد أن أسأل هذا السؤال: متى كانت آخر مرة سمعتم، أو قرأتم فيها خبراً يقول:

تم فصل المسؤول / فلان بن فلتان الفلنتاني، وذلك لسرقته كذا مليون من أموال الشعب؟!

ألا يوجد لدينا ولو «مسؤول» واحد يستحق أن يُشهَّر به علانية لسرقته أو لإهداره أموال الناس والبلد؟!

عفواً سمو الأمير.. «عجزت أبلعها»!

منذ فترة (وقت أزمة الحديد) أجرت صحيفة «عكاظ» حواراً مع رئيس مجلس إدارة سابك الأمير سعود بن عبدالله آل سعود، وممّا جاء في هذا الحوار:

(كشف أن منزله الذي يقوم ببنائه حاليا توقفت عملية الإنشاءات فيه لأنه لم يتم العثور على حديد منذ ٤٠ يوما، مما يؤكد أن المشكلة يعاني منها الجميع. وقال إن الأسعار في المملكة تعتبر أقل الأسعار على المستوى الخليجي والإقليمي، وألقى باللائمة على وزارة التجارة في مراقبة الأسعار وأنها يجب أن تقوم بدورها في ثبات الأسعار).

ولا بد أن رئيس مجلس إدارة سابك عندما أدلى بهذه التصريحات للزملاء في «عكاظ» يعلم أن كلماته ستمر على أطياف مختلفة من المواطنين، وهناك من سيقبلها، وهناك من سيرفضها، وهناك من سيصدق، وهناك من سيختلف ويشكك، وهناك من سيبتسم بصمت «خاصة على حكاية الأربعين يوماً»!

وأجزم أنه سيتعامل برحابة صدر مع كل ردود الفعل الشعبية على حواره.. وإلا لما قبل بإجرائه من الأساس.

هذه بعض ردود الفعل «المتخيلة» على هذا التصريح:

(١)

أمير، رئيس مجلس إدارة سابك، ورئيس الهيئة الملكية للجبيل وينبع، ويتوقف بناء منزله ٤٠ يوما بسبب نقص الحديد.. إذاً أنا كـ «مواطن» من الطبيعي أن يتوقف بناء منزلي ٤٠ سنة!

(٢)

مشكلة بيت رئيس مجلس إدارة سابك عدم توفر الحديد.. مشكلة بيتي عدم توفر السيولة!

(٣)

(الأسعار في المملكة تعتبر أقل الأسعار على المستوى الخليجي والإقليمي)

لماذا هذا الإصرار على أن أشياءنا هي الأفضل والأجمل والأطول.. وكل ما يأتي على وزن «أفعل».. ألا ننظر حولنا؟.. أم أننا ننظر ونرى ونظن أن «المتلقي / المواطن» لا يرى ما نراه؟.. وأنه ما يزال يتلقى المعلومة من القناة الأولى والصحيفة الرسمية؟!

(٤)

المسؤولون ـ حفظهم الله ورعاهم ووسع صدورهم علينا ـ كيف يتخيلون «المتلقي» عندما يقدمون مثل هذه التصريحات؟!

(٥)

أعلن أمام الملأ وأنا بكامل قواي العقلية بأنني أتعهد لرئيس مجلس إدارة سابك بتوفير ما يحتاجه منزله بنصف مدة انتظاره (٢٠ يوما على أبعد تقدير) وذلك لأنني أعرف «واحد من الشباب، يعرف واحد ثاني»، ابن خالته موزع حديد..

(٦)

(وألقى رئيس مجلس إدارة سابك باللائمة على وزارة التجارة في مراقبة الأسعار وأنها يجب أن تقوم بدورها في ثبات الأسعار)

ما علاقة وزارة التجارة برفعكم للأسعار؟ أم أنكم في «سابك» منزعجون لرفعكم للأسعار دون أن تنتبه لكم وزارة التجارة؟!

ثم إنني كمواطن «غاسل يدي» من هذه الوزارة منذ تصريحها الشهير، والذي طالبتني فيه كمواطن بأن «أغيّر عاداتي الغذائية» ومن يومها وأسعار «التبن» بارتفاع مستمر.

ثم يا سيدي أنتم في «سابك» رأس مالكم ٩ مليارات.. كيف استطعتم خلال عام أن تصل أرباحكم إلى ٢٧ ملياراً؟! ومن جيب من أخذت هذه المليارات؟.. هذا قبل ارتفاع الأسعار.. تُرى كم ستصبح أرباحكم خلال هذا العام؟

(٧)

أخطاء مطبعية:

هذا الكلام (سابك) لأوانه..

ويقول المثل: الدنيا (سابك) ولاحق.

كأنه.. مقال جنسي؟!!

لن تكون رجلا حراً . . إن لم تنجبك وتربيك امرأة حرة!

والحرية: ليست إباحية (كما يظن بعض المعتوهين) الحرية: شرف . . ومسؤولية.

(١)

نمنع المرأة من قيادة السيارة خوفاً عليها من الذئاب البشرية! . .

وهذه الذئاب: هي «ذكور» سيغتصبونها عند أول «بنشر» يُصيب إطارات سيارتها!

مشغولون بـ «الاختلاط» حتى أصبح قضيتنا الوطنية الكبرى . .

لأن أي لقاء بين الرجل والمرأة ـ حتى وإن كان في مكان عام ـ سينتهي بعلاقات محرمة!

نمنعها من القيام ببعض الأعمال لأن الجنس يقف لها بالمرصاد!

ألا تلاحظون معي أن أكبر بعبع يُخيف مجتمعنا هو «الجنس» وأن نصف الفتاوى تدور حوله، أو تنطلق منه، أو تحاول منع حدوثه؟!

عند الأنثى نحاول أن نسد الذرائع الموجودة في خيالنا المريض

خوفاً من حدوثه في زاوية ما!.. وعند الذكر «نشرعن» كل شيء لإرضائه!.. ولهذا نتج لدينا: «المسيار» و«المسفار» و«الوناسة»... وأشكال أخرى من «الزواج» قادمة في الطريق.!

لماذا نشعُر (ونشعِر المرأة معنا) أن عالماً متوحشاً يقف لها بالمرصاد ما أن تتعدى عتبة باب بيتها؟.. أليست لدينا ثقة بنسائنا؟.. وقبلها أليست لدينا ثقة بأنفسنا كرجال؟!

ثم ما نتيجة هذا الهاجس والخوف الدائم من الوقوع في الرذيلة ومحاولة منعها حتى قبل أن تخطر على بال الشيطان نفسه؟.. ما هي النتيجة؟.. هل نحن مجتمع سوي؟

للإجابة على هذا السؤال: تابعوا بيانات وزارة الداخلية خلال العقد الماضي عن الجرائم الذكورية.. (هذا ما يُنشر.. وما خفي كان أعظم)... طبعا هذا بالنسبة للذكور، أما الإناث فجولة صغيرة في إحدى كليات البنات ستجعلكم تشاهدون الكثير...!!

سنصل إلى نتيجة مفزعة ومزعجة: نحن مجتمع غير طبيعي!

(٢)

أعلم أن هذا المقال سيلاقي سوء فهم من البعض، وسيمنحني بعض الاتهامات الجاهزة.

وأعلم أن البعض ستزعجه لغة هذا المقال..

ولكن لكي نصل إلى الحل يجب أن نسمي الأشياء بأسمائها.

يجب أن نضغط على الجرح - وبقوة - حتى يخرج هذا الصديد منه.

نحن كمجتمع لم نستطع أن نحافظ على قيم الماضي
ولم نستطع أن نستوعب قيم المستقبل أو نصل إليها
وقفنا في منطقة «هلامية» لا ملامح لها!

نمارس نفاقنا الاجتماعي بجدارة، وندّعي حفاظنا على هذه «الدرة المصونة» وكل تصرفاتنا تدل على عدم الثقة بها!

ولا نمل من ترديد مفردة «خصوصية» كأن المجتمعات الأخرى بلا خصوصية.

(٣)

عندما ترى مجتمعا فيه الكثير من الخلل، وعلاقاته الاجتماعية مشوهة ومرتبكة، فاعلم أن الخلل في نظامه الاجتماعي الذي سيطر عليه طوال العقود الماضية!

ومسكين، أو كاذب ومكابر، من يرى أن مجتمعنا هو مجتمع الفضيلة!

(٤)

نحن أكثر شعب يسافر إلى الخارج.

طبعاً السبب معروف: لكي نزور المتاحف العالمية!

كيفيّة طبخ مقال سعودي طازج!

(١)

أ ـ المقادير:

ـ مسؤول صغير لا يتجاوز حجمه «مدير عام».

ـ معجون كلمات وطنية + نصف حبة فليفلة خضراء.

ـ كركم بطالة + فلفل أحمر من النوع الذي لا يزعج الرقيب + كزبرة المال العام + بهارات لغوية + ٢ كوب رز اختلاط.

ب ـ طريقة الإعداد:

يُقطّع «المدير العام» قطعاً صغيرة، ويُغسل جيداً بالحبر.

يُسلق «المدير العام» لمدة ٤٥ دقيقة على نار هادئة.

(لا بد من الاتفاق مع هيئة التحرير على درجة حرارة النار)..

في هذه الأثناء: يُضاف الملح (والكذب: ملح الرجال!)، الفلفل، والليمون.

ج ـ المحاذير:

ـ انتبه لدرجة النار حتى لا تحرق أصابعك.

ـ القرّاء أصبحوا أذكى منك بكثير، فلا تقم بـ «سلق» المقال بشكل مستعجل.

ـ لا بأس من خداع القارئ، وذلك بوضع بهارات تنسيه طعم الطبخة الأساسية (المدير العام).

ـ احذر من تقديم طبخة مناطقية لا تُعجب سوى بطن إحدى الجهات.

ـ عليك أن تعتاد على ردود الفعل المخالفة، وتقبّل القارئ الذي سيرفض طبختك / مقالتك، بعد أن يرمي في وجهك نشيده العظيم: «يا ليت عندي عصيدة، وأربع صواني مرق!».

(٢)

كتبتُ سابقاً أن الطبّاخين يختلفون:

ـ هناك مَن «يسلق» لك المقال في دقائق، ولا يعنيه هل قلّ «الملح» فيه، أم ازداد «ثقل الدم» لديه!

ـ وهناك مَن «يلقّط» الخبز المتبقي على موائد الآخرين، ويرش عليه بعض الحبر.. ويقول: تفضّلوا هذا «الثريد» هو طبختي لكم لهذا اليوم.

ـ وهناك الطبّاخ / الكاتب الذي مهما حاول واجتهد.. لا يمكنه تجاوز «ساندويتش فلافل!».

ـ وهناك صاحب النكهة المميزة، و«الخلطة السريّة» الذي لا شبيه له سواه.

ـ وهناك مَن يُغامر ويبتكر «طبخة» جديدة، دون أن يهتم لردة فعل الذائقة السائدة.

ـ وهناك مَن احترقت أصابعه عند «الفرن» وهو يحاول أن يصنع لكم وجبة حقيقية ومميّزة، تحفظها ذاكرتكم قبل أن تلفظها أمعاؤكم.

(٣)

عزيزي القارئ.. اختر الطبّاخ قبل أن تختار الوجبة..

مع أمنياتي لك بإفطار شهي.

مقال قصير جدّاً عن رجل طويل جدّاً

(١)

من المخجل أن يغيب رجل مثل «غازي القصيبي» ولا تكتب عنه.

ولكن المخجل أكثر أن تكتب عنه شيئاً صغيراً لا يليق به وبقامته.

إذن ـ من البدء ـ أعتذر لكم (وبخجل) عن هذه الكتابة!

(٢)

أول سؤال خطر على بالي: من أين أبدأ؟

لو أن الحديث يدور حول رجل جميل بحجم بحيرة.. لهان الأمر..

ولكن الحديث يدور حول الرجل / البحر..

فمَن يضمن لي عدم الغرق في منتصف الكتابة؟!

(٣)

على سواحله ستجد:

غازي.. ابن «عبدالرحمن القصيبي» أحد أثرى أثرياء زمانه،
لم يأتِ للعمل العام وعينه تتلصص على العقود!
أتى وعينه تراقب المجد البعيد..
لم يأتِ لكي «يأخذ»، أتى لكي «يعطي».
على سواحله ستجد:
الأستاذ الجامعي / الشاعر / الوزير / الروائي / السفير / الكاتب..
الحر والتنويري والمقاتل الذي يحترمه الجميع.. حتى خصومه.
على سواحله ستجد:
شاعراً جريئاً يكتب آخر رسائل المتنبي إلى سيف الدولة.
على سواحله ستجد:
«شقة الحرية» التي فتحت أبوابها للرواة الجدد.
على سواحله ستجد:
زاوية «في عين العاصفة».. لم تكن زاوية، كانت خندقاً على حد الوطن.
على سواحله ستجد:
ألف شهادة وشهادة تقول لك: إنه من القلّة التي لم تفسدها السلطة.
على سواحله ستعرف: أنه الواحد / الكثيييير.. وستبكي لفقدهم جميعاً!

(٤)

أول مرة رأيته فيها، في منتصف التسعينيات، في حفل للمعهد الدبلوماسي.. كانت تحيط به هالة من الضوء.. أردت أن أصافحه وأقول له إنني أحبه.. ولم أفعل! منعني الخجل.. أردت أن أقول: أنا من جيل عشق غازي القصيبي، وبهرته شخصيته. أردت أن أقول له: إنني في طفولتي كتبت قصيدة فيك.. نعم كانت ركيكة وساذجة.. ولكنها صادقة ومحبة لك. أردت أن أقول له إن من أول الكتب التي اقتنيتها في حياتي هي كتبك.. وإنك أحد الذين هذّبوا ذائقتي، وفتحوا النوافذ في رأسي الصغير، وجعلوني أعشق صبية حسناء اسمها «الحرية».

أردت أن أقول كل هذا.. وأكثر.. ولم أفعل!

أعذرني يا سيدي، كنت شاباً شمالياً صغيراً - وفي مكان لا يشبهه - وأربكه الضوء المنبعث منك. ولكنك من القلّة الذين لم يخذلوني.. كنت طويلاً جدّاً (كل الذين أحبهم أتخيّل أنهم طوال القامة.. لا أدري لماذا).. وأنت كنت طويلاً أكثر من اللازم!

(٥)

غازي القصيبي:

من القلة الذين استطاعوا أن يقرأوا مستقبل الغلو بوضوح، وقاتل بشجاعة كل فكرة متطرفة.

اختلفوا على ما تخطه يده، ولكنهم اتفقوا على نظافة هذه اليد في كل منصب ذهبت إليه.

لهذا: حتى خصومه يحترمونه.

رغم كل الاختلاف حول وزارته الأخيرة، إلاً انه يظل بنظر الغالبية من الشعب السعودي:

هو الوزير الأكثر شعبية طوال العقود الأربعة الماضية.

(٦)

أكرر اعتذاري عن هذا المقال الصغير / القصير عن هذا الرجل الكبير / الطويل.

فلنتوقف عن الكتابة عنه.. ونكتفِ بالبكاء عليه.

وفي المستقبل، سيأتي أولادنا ليكتبوا عنه بشكل أفضل وأصدق.

فمي: أغنية وطنية

(١)

سيدتي السلطة..

اللامعة مثل ذهب، الناعمة مثل أفعى، المخيفة مثل سجن.

تحية طيبة / مرتجفة... وبعد:

هذا الأسبوع كان حافلاً بـ: عليك بالتزام الصمت.. و«أغلق فمك»!

كانت كل التصريحات تتجه إلى فمي ـ كمواطن ـ وتطالب بإغلاقه.. كأنه محل لبيع الأشياء المستعملة غير مرخص له بالعمل، أو كأن فمي مطعم شعبي تجاوز الأنظمة وصار يبيع الوجبات الفاسدة!!

(٢)

سيدتي السلطة..

قد لا تعلمين ـ وأنتِ القوية ـ أنك موجودة في أماكن وأشكال كثيرة ومختلفة:

أنتِ موجودة في جيب حكم مباراة على شكل بطاقة حمراء يُشهرها في وجهي ليطردني من الملعب.. هناك من يسميك: «قانون»!

أنتِ موجودة في عيون «المسؤول».

أنتِ موجودة في «لحية» الشيخ.

أنتِ موجودة في أعراف القبيلة.

أنتِ موجودة في عادات وتقاليد المجتمع.

أنتِ تقفين الآن على أطراف أصابعي وأنا أكتب.. وتجعلينني أحاول جاهداً البحث عن كلمة «لطيفة» و«خفيفة» حتى لا تغضبي مني!

والسؤال ـ يا سيدتي ـ رغم كل هذا الوجود المتعدد والممتد بأشكاله المختلفة:

ـ هل استطعت أن تغلقي فمي؟.. الإجابة: لاااا!

(٣)

سيدتي السلطة..

من مئات ـ بل آلاف ـ السنين:

كان هنالك إنسان ما، في مكان ما، قال كلمته.. وابتكر فكرته.

واستطاعت كلمته تلك أن تعبر الأزمنة والأمكنة.. استطاعت أن تنجو من الحرس..

طارت بلا أجنحة.. ووصلت إلى زماننا هذا.

هذا الإنسان، من الممكن أن يكون: نبياً، مصلحاً، شاعراً، مفكراً، ثائراً.. أو صاحب طريقة جديدة ومذهب جديد.

وهذه الكلمة: نص مقدس، فكرة، قصيدة، صرخة..

أنظري إلى الكتب العتيقة ـ يا سيدتي ـ واسألي نفسك:

كيف عبرت كل هذه الأشياء الممنوعة في زمانها؟.. كيف نجت من الموت؟!

وتذكري أنها «وصلت» وعاشت كل هذه السنين، قبل أن يخترع الإنسان المطبعة ويعرف الإذاعة والصحيفة، فكيف سيكون الوضع ونحن في زمن الإنترنت والموبايل والبث الفضائي والمنظمات الإنسانية والحقوقية؟

ما الحل إذاً؟..

حاولي يا سيدتي أن تتصالحي مع «فمي»..

فمي: ليس ميكرفونا أجنبياً.

فمي: يحلم أن يطبع قبلة رائعة على جبين البلاد وأهلها.

فمي: أغنية وطنية.

ـ ملاحظة مهمة:

سيدي وزير الصحة.. لديّ ـ بعد يومين ـ موعد مع طبيب الأسنان.

سيقول لي: «افتح فمك».

هل أقول له: لا . . وزيرك قال لي «أغلق فمك»؟!

إذن ماذا سأفعل بضرسي الذي أصابه السوس؟ . . . أخلعه؟!

والسؤال الأهم يا سيدي:

ماذا سأفعل بالعقل والروح إذا أصابهما التسوّس؟!!

أقدم «معروضي» هذا.. وبه...!

(١)

عندما يتدخل الملك شخصياً لعلاج مريض.. هناك خلل ما في الخدمة الصحية.

عندما يحتاج علاج مريض إلى أمر ملكي.. هناك خلل ما.

عندما يستنجد المواطن بصحيفة إلكترونية، أو عبر صفحات القراء في صحيفة محلية، لعلاج ابنه.. هناك خلل ما.

عندما يقوم أمير، أو رجل أعمال، أو أي شخص بدفع تكاليف علاج مواطن...

سأصرخ بأعلى صوتي، وأقول: هنالك خلل ما.. خلل كبير في الخدمة الصحية التي تقدم للمواطن السعودي.

(٢)

أنا مواطن بسيط، أعيش في جهة نائية من جهات الوطن، ولا أستطيع أن أصل إلى الملك، وليست لي علاقات مع كبار الأسماء في

البلد (وما عندي واسطة) ولست صديقا أو مرافقاً للأثرياء حتى يتكفلوا

بعلاج أحد مرضاي.. فماذا سأفعل؟

ومتى ستنتهي عبارة «لا يوجد سرير»؟!

أليس من حق أي مواطن على هذا الوطن أن يكفل له «سريراً» عند مرضه؟

لماذا يظهر هذا «السرير» فجأة يصبح متوفراً عند وصول «أمر» ما؟!

من الذي يمنعني من الوصول إلى هذا «السرير».. ويجعله متوفراً لغيري؟!

أين تذهب المليارات التي تُصرف على القطاع الصحي؟

لماذا أجبر على تقبيل ألف أنف وأنف؟.. وكتابة «المعاريض»؟

واستجداء المسؤولين حتى يصل مريضي إلى هذا «السرير» الخرافي؟!

(٣)

الوطن ليس شعارات برّاقة..

وأغنيات حماسية يرددها مطرب «متعافٍ وشبعان»!

الوطن: هو من يقدم لك الرغيف، والمقعد المدرسي، والسرير في المستشفى..

دون أن ينتظر منك أن تكتب في حضرته قصيدة نبطية عصماء!

هذا ما تفعله أفقر البلاد.. أن تقدم لمواطنيها:

حق التعليم، وحق العلاج عند المرض.

(٤)

هناك خلل ما:

والعلاج.. بحاجة إلى علاج!

لماذا تخافون من الكلمات؟!

(١)

قبل فترة، وخلال أسبوع واحد، قرأت مقالتين ـ عبر الإنترنت ـ لأستاذنا «محمد العلي» وكلاهما مكتوب بجانب العنوان «مُنع من النشر»!

كم تزعجني هذه العبارة.

هذا الذي «منعها» من النشر.. في أي زمن يعيش؟

هذا الذي «منعها» من النشر. ألم يسمع بالإنترنت والموبايل والقنوات الفضائية؟

ألا يعرف أنه بإمكاننا أن نرسل كتابا بأكمله ـ لا مقالة ـ عبر رسالة جوال واحدة؟

(٢)

لماذا تخافون من الكلمات؟!

(٣)

هذا الذي «يَمنع من النشر» هو يعترف ـ دون وعي منه ـ أن هناك أخطاء لا يجب التحدث عنها.

وأن هناك تجاوزات.. هو يعترف بها أكثر منا.

وأن هنالك «خللا» ما.. يريد أن يحميه!

بل إن وجود هذا «المانع» ـ وفي هذا الزمان ـ هو الخلل الأكبر.

(٤)

لماذا تخافون من الكلمات؟!

(٥)

لماذا تخافون من رجل يأتي ومعه كلماته في وضح النهار؟

عليكم أن تخافوا أكثر من رجل يختفي في جنح الظلام مع كلماته التي لا ملامح لها.

(٦)

بالكلمة الحرة نقاتل الفساد ونحاربه.. ومن يمنع هذه الكلمة من التحليق في فضائها الحر واحد من اثنين:

ـ إما أنه يريد أن يحمي الفساد.

ـ أو أنه جزء منه.

بالكلمة الحرة ننحاز إلى مستقبل البلاد الذي يعنينا جميعاً.

بالكلمة الحرة نقف في وجه كل ما هو قبيح وننحاز إلى الجمال.

نختلف؟... نعم!... ولكنه اختلاف فيه الكثير من العافية.

المرض: أن نتفق جميعاً - رغم أنوفنا - حول أمر ما.. وهذا ضد طبيعتنا البشرية.

(٧)

لماذا تخافون من الكلمات؟!

(٨)

الكلمة التي تأتي بهدوء ومحبة أفضل ألف مرة من كلمة تأتي غاضبة وعنيفة وصارخة.

دعوا الكلمات تمر.. ففيها خير البلاد والعباد.

كلمة تتحوّل إلى غطاء لطفلة شمالية يحاصرها البرد.

كلمة تتحول لقارب نجاة لأسرة يحاصرها السيل في أحد الأودية.

كلمة تتحول لخطاب عزاء لشاب لم يجد «السرير» لوالده المريض.

كلمة تتحوّل إلى «شباك صيد» لصيّاد عجوز في جازان سرقوا منه البحر والأسماك!

كلمة تكبح جماح غضب شاب يتأبط ملفه الأخضر بحثا عن وظيفة منذ سبع سنوات.

كلمة تتحول إلى دواء..

وأخرى إلى رغيف خبز..

وثالثة إلى حلوى يلتهمها الأطفال..

ورابعة إلى عقد تلبسه عروس في الثانية عشرة من عمرها لم يحم القانون طفولتها.

(٩)

لماذا تخافون من الكلمات؟!

لماذا تخافون من الكلمات؟!

عليكم أن تخافوا من الصمت أكثر!!

زيتونة و«الرخمه» أوباما!

يا إخوان أحد يطمّنا على السيدة «زيتونة». . هل حصلت على الإقامة؟

يا حسافة فرحتنا فيك يا باراك يا ابن حسين أوباما. . طلعت «رخمه» للأسف!

والله لو أن المملوحة «زيتونة» ـ سليلة الحسب والنسب الأوبامي ـ عمة لأحد الزعماء العرب لرأت الحشمة والمجد والعز الذي تحلم به:

أولاً: سيتهم هذا القاضي الذي رفض منحها الإقامة بالخيانة، وسيرمى «وراء الشمس».

(وراء الشمس: منطقة كونية لم تستطع وكالة ناسا الوصول إليها ولم تكتشفها سوى الأجهزة الأمنية العربية).

ثانياً: ستمنح زيتونة مخططا كبيرا تبيعه لأحد الهوامير. . وتدخل عالم نساء الأعمال من أوسع الأبواب وأعلى النوافذ!

ثالثاً: ستمنح أعلى وسام في البلد!

رابعاً: ستصبح المسؤولة عن أي نشاط اجتماعي وثقافي

ورياضي.. وسيتسابق الكتاب العرب للحديث عن «نظرتها الثاقبة» و«فكرها العبقري» وحسن إدراكها للأمور.

خامساً: سيأتي شاعر شعبي ليقول عنها ما لم يقله أبو نواس في «الصهباء»، وذلك عبر قصيدة حلمنتيشية تحمل عنوان «عمة الشعب».

سادساً: سيكون في كل مدينة شارع يحمل اسم «شارع زيتونة».. ويا ويل رئيس البلدية ويا سواد ليله إن لم يكن هذا الشارع مرصوفا ومنارا ومزروعا بأجمل الورود.

سابعاً: ستفوز باستفتاء «عمة العام» عن طريق منظمة لا يعرفها أحد!

ثامنا، وتاسعا، وعاشرا: ستجدون أبناء هذا القاضي، وكل من يمتّ له بصلة قرابة، يشحدون عند أقرب مسجد!

هل قلت: لو كانت عمة أحد الزعماء؟!

والله كان يكفيها أن تكون عمة وكيل وزارة فقط لكي تأتيها الإقامة وهي في منزلها.

تعريفات سعودية..!

(١)

المال العام: هو «المال» الذي إذا اجتهدت بالمحافظة عليه لن تجد من يشكرك، وإذا قمت في ليلة ظلماء (غاب فيها القمر.. وضميرك) بالسطو عليه لن تجد من يحاسبك!

(٢)

اختلاط عابر: هو اختلاط يجوز لبعض المشايخ ولا يجوز للعامة من الناس لأنهم ـ لجهلهم الشديد به ـ لا يعرفون ضوابطه!

(٣)

«السعودة»: إحدى روايات الخيال العلمي!

(٤)

سوق الأسهم: كائن خرافي.. يخوّف السعوديون به أولادهم قبل النوم!

(٥)

«لا يوجد سرير»: شعار وزارة الصحة.. على غرار «نعتز بخدمتكم»!

ويتم التعامل معها كعبارة تراثية قيّمة يجب المحافظة عليها حتى لا تنقرض من القاموس اللغوي!

(٦)

«مدرسة خاصة»: هي المدرسة التي يذهب إليها أولاد المسؤولين في وزارة التعليم لعدم ثقتهم بالتعليم الحكومي!!

(٧)

«حرية التعبير»: فيلم رعب.. ينتهي بموت طاقم الفيلم!

(٨)

«شيخ»: لقب تستطيع الحصول عليه عندما تنقطع عن الذهاب للحلاق لمدة ثلاثة أسابيع!

(٩)

هيئة الصحافيين السعوديين: مبنى.. بلا معنى!

(١٠)

«السياحة الداخلية»: مانشيت صحفي، في صحيفة لا يقرأها أحد!.. كتبه إعلامي يقضي إجازته على شواطئ «كان» الفرنسية..!

(١١)

قرض بنكي: استعباد حديث تحت رعاية مؤسسة النقد.

(١٢)

ملف علاّقي أخضر + ختم العمدة: البيروقراطية السعودية في أبهى تجلياتها!.

مقال ملخبط..!

(٤)

هنالك أسئلة عويصة ومهمة وبحاجة إلى لجنة تضم خبراء في الأمن الإستراتيجي وخبراء في الأمن اللي مش إستراتيجي ليمحّصوها ويحمّصوها ويجيبوا عليها.. وإن لزم الأمر فلا بد من تدخل عاجل من وحيد عصره، وفريد دهره، والفقير إلى عفو ربه، العلاّمة، الفهامة، النحرير، معشوق رؤساء التحرير/ محمد السحيمي ليخبرنا غفر الله له عن علاقة «الحوثيين» بزواج المسيار وهل يعني هذا انخفاض الين الياباني مقابل الجنيه السوداني؟

ثم، لنفترض جدلا أنني أصبت بلوثة عقلية ـ لا سمح الله ـ وقمت بتغيير أسماء أطفالي دفعة واحدة من: سيف وسلطان واحمد إلى أسماء أجنبية.. هل سيتم دفع تكاليف دراستهم في العام القادم؟!

مع العلم أن «احمد» يقسم أغلظ الأيمان بأنه لا علاقة له بما حدث لبركان ايسلنده.. ويظن حسب معلوماته الجغرافية أن «ايسلنده» حارة في مدينة «حفر الباطن»!

و«سلطان» لم يعد يتذمر من عدم صعود منتخبنا إلى كأس العالم.

و «سيف» تنازل عن حلمه بالسفر عبر القطار من رفحاء إلى

جيزان بعد أن نشرت صحيفة الرياض خبرا يقول إن تكلفة حوالي (٤ كيلو) من قطار المركز المالي تصل إلى حوالي (مليار) وهذا يعني أن قطار رفحاء ـ جيزان سيكلف الدولة مبلغاً يصل إلى ٣ ترلللي يون.

ترلللي يون: هو مبلغ يتجاوز المليار والتريليون وتعود حقوق اكتشاف هذا الرقم لي أنا.. فالرجاء احترام الحقوق العلمية والمعرفية. ومن يستطع من القراء الكرام أن يقول «ترلللي يون» سبع مرات خلال سبع ثوانٍ دون أن يسقط فكه السفلي فهذا يعني أنه غير مصاب بـ «عمى الألوان».

أقول قولي هذا.. وأستغفر الله لي ولكم ولكافة القطاعات الأمنية في كافة الدول الصديقة.

(سبعطعش)

ملاحظة مهمة: أرجو أن لا يأتي أحد ما وهو ممتعض / مستاء / «متكهرب».. مما قرأه في الأعلى!

أنا لم أخدعكم، قلت لكم بدءاً من العنوان أنه «مقال ملخبط» فمن شاء أن يقرأه بشكل جيّد عليه أن «يتلخبط» قليلاً لكي يصل إلى المعنى!

(هـ)

نماذج من الأسئلة العويصة:

أ ـ ما هو الفرق بين (الخيار الاستراتيجي) و(الخيار باللبن)؟!

وهل للأمر علاقة باختلاف (السُلطة) عن (السَلطة)؟

ب ـ ما رأي أعضاء مجلس الشورى بـ «قطار المشاعر» والذي كلف الدولة ٦,٦٠٠ مليار؟!

أشياء طبيعية.. أشياء غير طبيعية

(١)

طبيعي جداً: أن يتصل بك أحد المعارف من الذين يظنون أنهم «يمونون» عليك (حتى وإن كان توقيت الاتصال متأخراً) ليسألك عن مسألة ثقافية هامة، وذلك لفرط ثقته بك وبمعرفتك.

غير الطبيعي أن يكون السؤال من نوعية: من الذي غنّى «القوس قوسك والسهام سهامك» قبل الآخر.. عبدالمجيد عبدالله أم عيضة المنهالي.. ومن هو صاحب الأغنية الأساسي؟!

ولأن السؤال يُعنى بشأن ثقافي عظيم.. فعليك أن تبتكر له إجابة بهذا الشكل:

(أخبرني عبدالله بالخير أنها في الأصل تعود لشعبان عبدالرحيم والاثنين سطوا عليها)

وذلك في محاولة أخيرة منك للقضاء على آخر جينات الوعي في رأسه.. الفارغ أصلاً!

(٢)

طبيعي جداً أن يأتي أي مسؤول علاقات عامة في أي وزارة ليبرر لك خطأ وزارته ويحوله ـ بقدرة قادر ـ إلى صواب.

غير الطبيعي: أنه لا يزال هناك مواطن يُصدق تصريحات مسؤولي العلاقات العامة!

(٣)

طبيعي جداً: أن تتحدث صحافتنا عن الثمرة الفاسدة.

طبيعي «نوعا ما»: أن تتحدث عن الشجرة الفاسدة.

غير الطبيعي: أن تتحدث عن البذرة الفاسدة.

(٤)

طبيعي جداً: ألاّ يحب القارئ ما تكتبه.. أو يختلف معه.. أو يرفضه ويرفضك.

غير الطبيعي: هي محاولاته الدؤوبة لتحويلك إلى فقرة في برنامج «ما يطلبه القراء»!

(٥)

طبيعي جداً: أن يجتمع الناس حول «الضجيج».

غير الطبيعي: أن يُصنع «الضجيج الوهمي» باحترافية عالية ـ وعلى أيدي خبراء ـ ويصدقه الناس.. ويجتمعون حوله!

(٦)

طبيعي جداً: أن كل مرحلة تنتج «نجومها» المزيفة.

غير الطبيعي: أن تنتهي هذه المرحلة ولا تنطفئ هذه النجوم!

(٧)

طبيعي جداً: أن أكتب مثل هذا المقال.

غير الطبيعي: أن يُمنع من النشر..

فأنا لم أتحدث عن البذرة الفاسدة بشكل يدعو للقلق!

ولم أسمّ أسماء «النجوم» المزيفة.

ولم أؤشر إلى مصدر «الضجيج الوهمي» أو جهته.. ولم أحدد أشكاله المتعددة!.

أوسكار محلي!

(١)

في أمريكا، ومع توقيت توزيع جوائز الأوسكار العالمية لأفضل الممثلين، وبقية المهن التي تدخل في صناعة السينما من إخراج، ومونتاج، وتصوير، وإنتاج، وإضاءة. . . إلى آخر الأشياء والإبداعات التي تدخل في صناعة الأفلام، يأتي مهرجان آخر على النقيض تماماً يوزع الجوائز لأسوأ ممثل وأسوأ فيلم وأسوأ مخرج. . وهكذا.

تخيلوا (مجرد خيال) أن لدينا مهرجاناً محلياً مشابهاً لمهرجان الأسوأ: نرشح فيه أسوأ وزير وأسوأ وزارة، وأسوأ إدارة، وأسوأ هيئة وطنية، وأسوأ أمين أمانة، وأسوأ جامعة، وأسوأ مشروع، وأسوأ تصريح لمسؤول خلال هذا العام، وأسوأ قرار، وأسوأ. . . أي شيء يخطر على بالك!

أظن ـ والله أعلم ـ أنه ستكون هناك منافسة شديدة في الفئات كافة، وإن كانت هوليوود تكتفي عند كل فئة بخمسة مرشحين للحصول على الجائزة. . فلدينا الأمر سيختلف لتتجاوز كل فئة أكثر من عشرة مرشحين لنيل الجائزة!

وسيحتار «النّقاد» كثيراً خلال فرز السيئ، والأسوأ، والسيئ جداً، وبالغ السوء!

بل انك ستجد وزارات تفعل مثلما فعل فيلم التايتنك أو القلب الشجاع و «تكحش» كل الجوائز لوحدها. . وسيكتب على واجهة مبناها وفي أوراقها الرسمية عبارة مثل «حائزة على ثماني جوائز أوسكار»:

- جائزة الأوسكار لأسوأ وزير/ إخراج وتمثيل.
- جائزة الأوسكار لأسوأ مشروع/ إنتاج.
- جائزة الأوسكار لأسوأ تصريح/ سيناريو.
- جائزة الأوسكار لأسوأ زيارة «مفاجئة» / موسيقى تصويرية. . وستحجب الجائزة لأن الموسيقى حرام.

(٢)

هذه بعض الأسماء التي يرى النقاد وبعض المراقبين أنها مرشحة وبقوة للحصول على بعض الجوائز:

هيئة الاستثمار، وزارة الصحة، مطار الملك عبدالعزيز، وزارة الخدمة المدنية، أمانة جدة، وزارة التربية والتعليم، الخطوط السعودية، تصريح رئيس حماية المستهلك، القطار والملعب، ساهر، وزارة المياه والكهرباء، جامعة الملك سعود. . . والقائمة تطول، والتنافس على أشده!

(٣)

قبل الانترنت والمواقع الالكترونية للصحف كان القارئ يكتفي بدوره كمتلقٍ فقط.. الآن القارئ شريك في كتابة النص (خاصة إذا كان يعنى بأمور حياته اليومية) ويستطيع بتداخله وتعليقه ونقله للمقالة أن يجعلها مؤثرة أكثر. فلنفترض عزيزي القارئ أن هذه المسابقة «الأوسكار المحلي» تفعل مثل بعض المسابقات الأخرى وتفتح المجال للتصويت.. لمن سيذهب صوتك؟

أمامك خياران:

إما أن تحرك «صوتك» ليؤثر بالنتيجة.. ويفوز مرشحك المفضل/ أقصد الأسوأ!

أو أن تفوز أنت بأوسكار أسوأ كومبارس!

رغم أنني لا أذكر أي «كومبارس» في التاريخ حصل على جائزة.. حتى جائزة السوء..

الجوائز لا تذهب إلا لأصحاب الأدوار الرئيسية!

ما لم تقله «شهرزاد» لـ «شهريار»!

(١)

. . ، وفي الليلة السابعة والتسعين بعد المائة، أكملت «شهرزاد» الحكاية:

وبعد أربع سنوات، اكتشف الرجل العثماني أن الولد ليس ولده، وأن مارستان الأخدود قد ارتكب خطأً كبيراً، فشد الرحال لبلاد العرب ليستعيد ولده . .

قاطعها «شهريار»: وما الذي حدث بعدها لوزارة الصحة؟!

. . . . وأدرك «شهرزاد» الصباح، وسكتت عن الكلام المباح!

(٢)

. . ، وفي الليلة الثامنة والتسعين بعد المائة، حكت «شهرزاد»:

وفي تلك البلاد، حدثت حادثة عجيبة: صارت قطعان الإبل تنفق وتموت في كل مكان بلا سبب واضح.

هناك من يقول إن السبب «النخالة» وهناك من يقول إن السبب

حالة نفسية سيئة أصابت الإبل. وهناك من يقول إن الإبل احتجت على عدم إشراكها بمسابقات المزايين وقامت بـ «الانتحار الجماعي»!

وأضافت «شهرزاد»: وهناك من يهمس أن الخطأ تتحمله وحدها وزارة الزراعة..

قاطعها «شهريار»: وما الذي فعلته وزارة الزراعة. هل تحملت الخطأ؟!

.... وأدرك «شهرزاد» الصباح، وسكتت عن الكلام المباح. وكادت أن تُمنع من الكتابة!

(٣)

..، وفي الليلة التاسعة والتسعين بعد المائة. قالت «شهرزاد»:

يُحكى أنه في إحدى البلاد أصاب الوباء أغلب الناس، فتجد الرجل يمشي في الطريق وهو «يحاكي نفسه»

فيقال عنه إنه «مسهوم»!. أي أصابته لعنة الأسهم. وأصل الحكاية ـ يا رعاك الله أيها الأمير ـ سوق دخله العامة من الناس، وخرجوا منه وهم تحت خط الفقر. وحده «شهبندر التجار» وأعوانه، خرجوا منه ومعهم ملايين الملايين من الدراهم والدنانير..

قاطعها «شهريار»: وما الذي حدث بعدها للمسؤولين في بيت مال المسلمين؟!

أرادت أن تردّ «شهرزاد» ولكن. . أدركها الصباح، فسكتت عن الكلام المباح!

(٤)

يقول بعض الرواة الثقاة:

بعدها بليلة، ماتت «شهرزاد» في ظروف غامضة. .

ولكن «الحكاية» لم تمت. . ولن تموت!

أشياء مزعجة!

(١)

من الأشياء المزعجة: أن نتقدم في الترتيب العالمي لأعداد المدخنين، ومرضى السكر، وحالات التحرّش الجنسي، ونحظى بالمراكز المتأخّرة في حرية التعبير، وبترتيب جامعاتنا بين جامعات العالم.

(٢)

من الأشياء المزعجة: أن نكتفي بمعاقبة «المجرم» الحقير الذي ارتكب جريمة اغتصاب فتيات معاقات بمركز التأهيل الشامل بنجران، وقام بتصويرهن، وننسى معاقبة كل الأشياء التي جاءت به إلى هذا المكان، وسمحت له بارتكاب فعلته دون رقيب.

(٣)

من الأشياء المزعجة: أن يتظلم «المستثمر السعودي» ويُطالب بمساواته بـ «المستثمر الأجنبي». هي مزعجة.. ولكنها مضحكة أيضاً!

(٤)

من الأشياء المزعجة: أن تشعر أن بعض المسؤولين لديهم حصانة عجيبة.. ولو أجمع كل الشعب على سوء أدائهم، سوف يبقون في أماكنهم!

(٥)

من الأشياء المزعجة: عبارة الخطوط السعودية (شكراً لاختياركم).. «إحنا لاقين غيركم»؟!

(٦)

من الأشياء المزعجة في هذا البلد: هذا الصوت الذي يقول لك: «أدخل التحويلة، أو أضغط صفر للمساعدة».. وتضغط على الـ «صفر».. وتواصل الضغط.. و«يرتفع ضغطك»، ولا تجد مَن يردّ عليك!

(٧)

من الأشياء المزعجة: تنتظر محاسبته، فتتم ترقيته!

(٨)

من الأشياء المزعجة: أن تقرأ في صفحات القراء هذه النوعية من

المواضيع: المواطن (ف. ق. ر) يستجدي «أهل الخير» لعلاج ابنته في الخارج. وفي الصفحة المقابلة مواطن «مهايط» وضع إعلاناً مدفوع الثمن لتهنئة أحد السادة بمناسبة حصوله على شهادة الكفاءة المتوسطة مع مرتبة الشرف، ووضع في نهاية الإعلان رقم جواله.. ولم يبق إلاّ رقم حسابه البنكي!!

(٩)

من الأشياء المزعجة: أن «الأشياء المزعجة» كثيرة جداً ولا يحصيها مقال واحد، لذلك نؤجل المزيد من الإزعاج لكم مستقبلاً، حتى لا يزعجنا أحدهم، ويمنحنا إجازة اضطرارية!

مواطن.. وجنّي!

يُحكى أن أحد المواطنين كان يتمشى (في أمان الله) فوجد فانوساً قديماً ملقى على الأرض، فأخذه ومسح التراب عنه.. لحظتها خرج له الجني قائلاً (على طريقة المسلسلات المصرية القديمة): شبيك لبيك.. خادم المصباح بين يديك.

نظر له المواطن باستهزاء وقال له ساخراً: أستغفر الله.. هالحين ضاقت عليك يوم تسكن بفانوس!

قال الجني بامتعاض: يعني وين تبيني أسكن؟.. الاجارات نار.. والصندوق العقاري مقدم عليه من عشرين سنة.. ولسه أنتظر دوري!

قال المواطن بيأس: وأنا اللي فرحان إني لقيتك.. أجل «شبيك لبيك» على أيش؟!

قال الجني: خليها على الله.. يا إنسي.. إلى هذا اليوم أبحث عن أي وظيفة لولدي العاطل.. وأمي سيدة من سيدات الجان مريضة منذ عام ولم أترك أحداً من طحاطيح الجان إلا وتوسطت به لنقلها لإحدى المستشفيات الكبيرة.. ولكن.. دائما الإجابة «لا يوجد سرير»!

قال المواطن: شكلك ما تنفع مع وزارة الصحة.. ممكن أرسلك لوزارة التربية والتعليم؟

قال الجني: الله يخليك.. بلاش إحراج.. شف لي وزير وبس.. وزير وأمير مرة وحده هذي صعبة.

قال المواطن: طيب.. تقدر تتدخل وترخص سعر الطماطم؟

قال الجني: ممكن.. لكن رئيس جمعية حماية المستهلك مسافر في انتداب إلى جزر فيجي.. أرسله خلف الحربي يشوف أسعار الكوسة هناك!

قال المواطن: والله منت بسهل.

قال الجني بزهو بعد أن استعاد ثقته بنفسه: ولو؟!

قال المواطن: يعني كم طلب أطلب؟

قال الجني: زي كل القصص الخرافية اللي زي قصتنا.. لك ثلاثة طلبات

قال المواطن: خير.. خير..

وأخذ المواطن الإنسي يعدد طلباته / أحلامه:

ـ أريد حرية تعبير مكفولة للجميع من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين.

ـ أريد أن تتم محاسبة كل مسؤول يخطئ أو يقصّر بعمله.

ـ أريد مجلس شورى لنا رأي فيه، وحرباً حقيقية ضد الفساد، وقضاء نزيهاً، و...

صرخ الجني: لحظة.. لحظة..

قال المواطن: ليه؟.. كثرت الطلبات؟!

قال الجني: لا.. تجاوزت كل الخطوط، وطلباتك حمراء فاقع لونها!

قال المواطن: أقول «وش ترجع»؟.. من أي الجان أنت؟

قال الجني: سعودي طال عمرك.. إلا ما ألقى عندك خمسمية ريال سلف لآخر الشهر؟

....

ولحظتها عاد الجني إلى فانوسه وهو يغني مع عبدالحليم: طريقك مسدود.. مسدود.. مسدود!

وتوته توته.. خلصت الحدوته.

كاريكاتير: ٥ وجوه!!

(١)

تجده في كل مدينة سعودية.

يقاتل لكي يجلس في صدر المجلس في أي مناسبة اجتماعية.

(يؤمن إيمانا تاما أن قيمة الرجل تكمن في قيمة المكان الذي يجلس فيه).

ملوّن.. مثل حرباء!

له «سكسوكة» مخاتلة.. لا تدري هل هي يسارية أم يمينية!

كل «جمعة» يأتي متأخرا للصلاة، ولا يمنعه هذا من المشي فوق رؤوس المصلين مستعرضاً ببشته الوحيد ـ كأنه بطل أولمبي في قفز الحواجز! ـ وذلك لكي يصل إلى الصف الأول.

ورغم وضعه المادي الجيّد.. ليس لديه أي استعداد لدفع ريال واحد لأفقر أقاربه..

ولكنه مستعد لدفع آلاف الريالات ليشارك بإعلان يُرحب بزيارة أحد المسؤولين!

كل هذا.. فقط ليحافظ على هذا اللقب «أحد أعيان المدينة».

(٢)

منتفخ!

يتحدث عبر أنفه.. وتستغرب: كيف يتنفس هذا الكائن؟!

موهبته الوحيدة.. «واصل»!

قدرة الله جعلته: كائناً غير مهم.. مولوداً في أسرة مهمة جدا.

(٣)

كائن افتراضي.

يصرخ باسم مستعار.. ليصفق لصراخه بعشرة أسماء مستعارة أخرى!

يهرب من عالم الواقع إلى عالم افتراضي رحب يمنحه مساحة من الحرية لا تتجاوز حدود الشاشة!

يغازل في «الشات»، ويتحول إلى واعظ في المنتدى، ويحاور الآخر بالفيسبوك

يكبر مثل بالون ملوّن.. وينفجر بعد أن يُصاب بفايروس الكتروني!

(٤)

حتى آخر يوم من شعبان:

كان «يطوف» حول برج الساعة في ساحة السوليدير و«يسعى» بين المقاهي.

الآن ـ وكعادة كل الأثرياء في بلادي ـ يبدأ «برستيج العمرة» بحجز شقة لأسبوع تتجاوز تكلفتها المائة ألف ريال!

لكثرة «الأقنعة» التي يرتديها وينزعها كل موسم.. نسي «وجهه» الحقيقي!

(٥)

قيمة «بشته» كفيلة بفتح بيت لأرملة وأطفالها والصرف عليهم لمدة عام.

قيمة ما يسكبه من عطر «دهن العود» الفاخر على جسده يُمكنه من كفالة يتيم مدى الحياة.

رَكب موجة «الصحوة» لأنه يؤمن بنظرية: «اللي تكسب به ألعب به»!

يسكن في قصر فخم رغم أنه لم يعمل سوى بمهنة: «داعية»

ورغم كل هذا.. لن تستطيع أن تقول عنه نصف كلمة..

ستجد من العامة الحمقى عشرة آلاف أرعن يقفزون في وجهك للدفاع عنه!!

دعاء خاص في ليلة السابع والعشرين!

اللهمَّ قلّل الفاسدين، وأكثر الصالحين والمصلحين في بلادي.

اللهمَّ أحفظ كلماتي من كل «رقيب»، و«حسيب»، واجعلني لا أهتم لأحد سواك.

اللهمَّ أنت تعلم خير الكلمات وشرها، فما تراه خيراً فأبعد عنه «العيون»، ويسّر له النشر، وما ترى فيه شرّاً فاصنع ـ بمشيئتك يا أرحم الراحمين ـ ألف سبب وسبب يمنع نشره ووصوله إلى الناس.

اللهمَّ أنت تعلم السر وما يخفى، وتعلم ـ سبحانك ـ أني لا أخاف أحداً سواك.. فامنع عني أذى مَن به أذى.. حتى هؤلاء الذين يظنون أنهم يتحدثون باسمك.

اللهمَّ قرّبني من كل فكرة جميلة، وأبعدني عن كل فكرة قبيحة.

اللهمَّ وامنحني من الأفكار ما لا يخطر على قلب أنجب الزملاء، وأكثرهم فطنة وموهبة.

اللهمَّ إنا عبيدك، أبناء عبيدك: منذ سنوات ونحن ندعوك لصلاح البطانة..

فإن لم تصلح فخذهم أخذ عزيز مقتدر!

اللهمَّ نبّه المسؤولين لما يحدث حولهم: فالخير إن أتى لا يستثني أحداً، والشر إن أتى لن يستثني أحداً.

اللهمَّ حنّن قلوب أهل المليارات على أهل «الصنادق»، وقلوب المسؤولين على موظفي وموظفات «البند». اللهمَّ واحمِ الغلابا من صراعات اليمين واليسار. اللهمَّ وافتح خزائن وزارة المالية لتتحوّل إلى وظائف للعاطلين والعاطلات. واحفظ بلادي وأهلها من كل مكروه.

اللهمَّ عليك بالفاسدين، والمرتشين، واللصوص، والوصوليين، والمهرجين.

اللهمّ امسح من قواميس وزارة الصحة عبارة «لا يوجد سرير»، وقلل الأخطاء الطبية.

وامسح من جامعاتنا عبارة «لا يوجد مقعد»، وارفع ترتيبها بين الجامعات العالمية.

وامسح من خطوطنا الجوية كلمة «انتظار»، ومن دوائرنا الحكومية «راجعنا بكرة»، ومن مجتمعنا كل نعرة طائفية / مناطقية / قبائلية.. واجعلنا نتذكّر دائماً (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

واعفُ عنا، وعافنا من المحسوبية والواسطة.

يا رب الأرباب، ويا خالق السحاب:

أدر عجلة الإصلاح، وامنحنا المزيد من الحرية.

واحمنا من استعمار الخارج، واستحمار الداخل.. فلا يوجد أي فرق بينهما!

اللهمّ إني لا أرى جبارَاً سواك.. فانزع من قلبي الخوف من كل صاحب سلطة وشرطة.

اللهمّ إني لا أرى كريماً سواك.. فلا تجعلني أطأطئ رأسي لصاحب جاه ومال.

اللهمّ أنت مولاي.. وأنا عبدك وحدك.. فأحفظ حريتي من أي شيء يريد أن يستعبدها في هذه الدنيا..

واجعلني ألاقيك حُرّاً كما خلقتني حُرّاً.

أنا عبدك الضعيف..

أتذكّر أنك «شديد العقاب»، فأرتبك ويصيبني الرعب..

وأتذكّر أنك «أرحم الراحمين»، فيملأ الأمل قلبي، وترتاح روحي..

فحاسبني برحمتك، ولا تحاسبني بأعمالي.

و.. يُرمى هذا المقال في سلة المهملات!

قلت سابقاً:

من يريد أن ينتصر في حروب «الخارج» المهمة..

عليه قبلها أن ينتصر في حروب «الداخل» الأهم.

(١)

علينا أن نمتلك الشجاعة ونعترف أن ما حدث في «جدة» هو كارثة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى مرعب، وكل من يريد أن «يخفف» من وطء هذه الكلمة بكلمة أخرى ألطف وأقل حدة يخدع نفسه قبل أن يخدع الآخرين!

علينا أن نخجل من المراوغة في الأسباب، ونتوقف عن تقديم التبريرات لما حدث، فالسبب الوحيد الذي يطل برأسه وبشكل مخيف هو: الفساد!

(٢)

عندما يُحمّل الزميل جمال خاشقجي «هوامير الأراضي» جزءاً من المسؤولية مما حدث..

علينا أن نواصل طرح الأسئلة الجارحة:

ـ من الذي سمح لهؤلاء «الهوامير» بأن يكونوا جزءاً من هذه المشكلة؟

ـ هل كان «القانون» ـ لحظة ارتكابهم لهذه المشكلة ـ نائماً؟.. أم متواطئا؟!

ـ أليس بينهم من هو واجهة لشخصية نافذة؟!

ـ من الذي امتلك هذه «المخططات»؟.. وكيف تم توزيعها؟.. ومن الذي أصدر صكوكها؟.. وكيف وصلتها الخدمات، وتحولت إلى أحياء، وهي غير قانونية بالأساس؟.. أين «النظام» لحظتها؟!

(٣)

جثث الضحايا تسألكم:

ألا يوجد «فاسد» واحد في هذا البلد يستحق أن يُشهر به

ويحاكم علانية نظير ما فعله بالبلاد والعباد؟!

(٤)

كل «فاسد» صغير.. يحميه «فاسد» كبير..

والواقع الذي لا يحاكم الاثنين هو واقع فاسد!!

(٥)

يُقال إنه قيل لأحدهم: أنت متهم باختلاس مئات الملايين؟

قال: أنا لم آخذ من الجمل سوى «أذنه»!

ولم يخبرنا من الذي أخذ بقية «الجمل» بما حمل؟!

التاريخ سيكشف سارق «الجمل».. ويلعن سارق الأذن.

التاريخ لن يرحمكم.. ونحن لن نسامحكم.

(٦)

ما حدث في «جدة» يجعلنا أمام أمرين:

ـ إما أن نبدأ حرباً حقيقية ضد الفساد، يقودها ملك صالح هو عبدالله بن عبدالعزيز، ونستحدث فيها هيئة حقيقية وذات سلطة، تتابع المال العام.. وأين ومتى يُصرف. ولها الصلاحية التي تجعلها تحاكم كل متجاوز: الكبير.. قبل الصغير.

ـ أو أن نطأطئ رؤوسنا قليلاً ـ ونسمح بالصراخ ـ إلى أن تمضي هذه العاصفة.. و«يا دار ما دخلك شر».. و.. يُرمى هذا المقال في سلة المهملات!

وقت للغناء.. وقت للغزل!

(١)

عندما تغني للبلاد.. سيأتي من يقول لك: صوتك نشاز.

وسيأتي من يقول بريبة: لحنك مشبوه.

ومن المحتمل أن يأتي صوت ثالث ليقول: «ابلع لسانك»!

(٢)

عندما تغني للبلاد..

عليك أن تنتبه للحنك.. حتى لا تأخذه منك «عرضة» نجدية أو «مزمار» حجازي.. أو «نهام» بحري شرقي.. أو شجن في «دحة» شمالية أو «خطوة» جنوبية ساحرة.

اخلط كل هذه الأشياء.. وغنّ لبلادك أغنية خرافية.

(٣)

عندما تغني للبلاد..

العن - بصوتك الساحر - كل أرباب الفساد.

(٤)

عندما تغني للبلاد..

لا تفرّق بين بلاط ممر ضيّق وفقير.. وبين بلاط القصر.

(٥)

عندما تغني للبلاد..

غنِّ لها لأنها الشيء الوحيد الذي أورثه لك أجدادك.

وهي الشيء الوحيد الذي ستورثه لأحفادك.

وعلم أولادك:

بلادك.. هي أنت.

(٦)

عندما تغني للبلاد..

لا تهتم للمسرح والقاعة الباردة، والطاولة، والميكرفون..

اخرج عن النص.. وحرّض الجمهور لكي يشاركك الغناء.

واقنع إخوتك ـ في اليمين واليسار ـ أن غناءك حلال.. وعذب.

(٧)

عندما تغني للبلاد..

دوزن صوتك على «مقام» وطني.

وشد أوتار روحك على محبتها.

واصنع وترك السابع من عرق يبدأ من القلب وينتهي إليه.

(٨)

عندما تغني للبلاد..

تخيّل أنها امرأة ساحرة لا شبيه لها بين النساء.

منحتك ـ في ليلة حب ـ كل ما تمتلكه من حليب وعسل.

تهدهدك على ذراعيها كطفل.. وتحكي لك حكاية «الجني» الذي اختطفها منك.. وتخيّل أنك الولد الفقير الذي ينقذها منه ـ كما تقول الحكاية.

ولن ينتهي المشهد قبل أن تمنحك قبلة ما قبل النوم / الموت.

(٩)

عندما تغني للبلاد.. لا تخف.

لا قيمة للأغاني الخائفة!

أبو «طاسه».. هل تعرف حقوقك؟!!

المواطن السلبي يكتفي بالغضب.

المواطن الإيجابي يغضب.. ويحاول أن يغيّر ما أغضبه.

المواطن الميّت.. حتى الغضب لا يعرف الطريق إليه!

(١)

حدّثني أحد الأصدقاء عن ذلك الوحش البشري الذي كان يدخل إلى إحدى المدارس مرتدياً زيّه العسكري ويطلب طالباً ما باسمه ليحضره مدير المدرسة إليه ويسلمه له. واكتشف لاحقاً أنه كان يغتصبهم.. وأنه فعلها أكثر من مرة مع أكثر من طالب، وفي مدارس مختلفة.

لو كان مديرو المدارس يعرفون حقوقهم لرفضوا تسليم هؤلاء الأولاد لهذا الوحش البشري. نعم.. يجب احترام رجل الأمن - ومساندته أيضاً - ولكن هذا لا يعني أن تصاب بالرعب لحظة الوقوف أمامه إلى الدرجة التي تمنعك من رؤية «طلب الاستدعاء» لهذا الولد.. وسؤاله عن سبب الاستدعاء.

هذا المواطن / «مدير المدرسة»: لم يكن يعرف أن من واجباته الدفاع عن هذا الطفل والحفاظ عليه، ومن حقوقه ألا يقتحم عليه أيا كان مكان عمله ويلغي مهامه... وأن يسأل: لماذا؟!

(٢)

للأسف هذا هو وضعنا.. وتلك هي حقيقتنا:

مدير المدرسة لا يعرف ما هي حقوقه.

الموظف الصغير الذي يتحمل» قرف» مدير الإدارة، لا يعرف حقوقه.. وكيف ينتزعها.

راكب الخطوط السعودية لا يعرف حقوقه.

رجل الشارع لا يعرف حقوقه في الشارع.. ولا واجباته.

مراجع أي دائرة حكومية لا يعرف حقوقه.

المريض لا يعرف حقوقه.

المُشتري الذي يجد السلعة التي اشتراها بالأمس بثلاثين ريالا قد ازداد سعرها اليوم إلى أربعين ريالا.. ولا يقول: لاااا... ولا يسأل: لماذا؟.. هذا المستهلك لا يعرف حقوقه.

(هل سبق لك أن اتصلت على حماية المستهلك؟!).. أياً كانت نتيجة هذا الاتصال.. على الأقل تقول رأيك، وتعرف أنه من (حقك) أن يخبرك احد ما لماذا ازداد السعر.. وكما تقول أمثالنا: «ما يضيع حق وراه مطالب»... هل طالبت بحقك بأي شيء؟!

هل رفعت قضية على شركة الطيران التي جعلتك تنتظر سبع ساعات وفوتت عليك أعمالك ومواعيدك؟.. أم أنك تكتفي بترديد عبارات من نوعية «ضايعة الطاسة» و«لا حياة لمن تنادي».. ثم تذهب لمنتداك المفضل لتختفي وراء اسمك المستعار وتفرغ شحنات الغضب بممارسة الصراخ؟!!

(٣)

من يريد أن يحصل على (حقوقه) كاملة..

عليه أن يقوم بـ(واجباته) على أكمل وجه.. والحقوق لا تمنح.. الحقوق تنتزع!

(٤)

أما قبل:

كيف تطالب بحقوقك.. وأنت لا تعرفها أصلاً؟!

حاول أن تعرف ما هي «حقوقك».. وقاتل لكي تحصل عليها.

منع من النشر!

ـ مضت نصف ساعة وأنت ممدّد أمام هذه الورقة البيضاء.. وما
الت فارغة!

ـ بياضها يستفزني ويزعجني، بعد قليل سأملؤها بالكلمات.

ـ عن ماذا ستكتب؟

ـ لا أعرف!

ـ حسناً.. اكتب عن هذه الحالة.

ـ كيف؟

ـ اكتب عن أنك لا تعرف عماذا ستكتب.

ـ هذا إفلاس..

ـ ليس دائما.. فمن الفن أن تكتب عن الفن.

ـ نعم ليس دائماً.. ولكنه في الغالب عندما لا تحضر
الكتابة».. نبدأ بالكتابة عن «الكتابة».

ـ معقول!.. انظر حولك.. ما أكثر القضايا في البلد.. وما أكثر
لأشياء التي تستحق أن تكشف ويُكتب عنها!.

ـ وما الفائدة؟

ـ الكلمة: محبة، الكلمة: نور، الكلمة: وعي، الكلمة: سلاح، الكلمـ. . .

ـ دعنا من هذا الكلام المجاني، والمثالي جداً، وقل لي: ما الفائدة؟. . هل تغيّر شيء؟!

ـ هل أصابك اليأس؟

ـ لا. . ولكنني أحياناً أشعر أنني ـ ومعي البقية ـ لسنا سوى مُسكن لإزالة «الاحتقان» من أنف. . وروح المواطن!

ـ لاااء. . . أنت محبط!

ـ لست محبطاً، ولكن. . عندما نكتب عن الشركة التي تهرّب مشتقات النفط إلى الخارج. . ما الذي يحدث بعدها؟. . وعندما نتساءل عن «بترومين» ولا نجد مجيباً؟. . وعندما نصرخ ضد هذا الفاسد الذي أتى الوظيفة وهو يستدين الألف ريال، وخرج منها بثروة تصل إلى نصف مليار. . ما النتيجة؟!. . وعندما نكتب كل يوم عن سوء الخدمات، وعن البطالة، وعن القلق من المستقبل، وعن. . وعن. . وعن. . . هل وجدت ردة فعل لما نكتبه؟!. . وعندما يكتب نصف كتّاب البلد عن التكلفة الخرافية لبعض المشاريع. . هل وجدت مسؤولاً واحداً أتى ليخبرنا (ويفهمنا) ما الذي يحدث؟!!

ـ عظيم. . !

ـ ما هو العظيم؟!

ـ هذا الحوار الذي دار بيننا: فكرة مقال جميل. .

ـ وهل تظن أنه سينشر؟

ـ جرّب!

*** ملاحظات مسؤول التحرير:**

المقال لغته حادة، ومتشائمة. ومفردة «الفساد» أظنها تكررت أكثر من اللازم. يجب تعديل السطر العاشر والسطر الرابع عشر. وشطب الفقرة الثانية والاكتفاء بالفقرة الأولى والتي تنتهي بكلمة «جرّب».

*** خروج عن النص:**

.. وقبل أن يذهب صديقي رمى عليّ قائمة «المقالات الآمنة»:

ـ اكتب عن تصرفات عضو هيئة الأمر بالمعروف.. ولا تسأل: لماذا الهيئة أصلاً؟!

ـ اكتب عن ارتفاع أسعار البطيخ ولا تمس طعمه اللذيذ حتى لا تفقد جمهوره.

ـ اكتب مقالاً ناريا هاجم فيه وزير البنية التحتية وستحظى بتصفيق هائل من الجمهور.. والغالبية لا تعلم أنه لا يوجد هناك شيء اسمه «وزارة البنية التحية» ولن ينتبهوا أنك تهاجم الهواء!!

ـ اكتب عن الزحام في الشوارع، والمطبات في الشوارع، والزبالة في الشوارع، والفوضى في الشوارع.. وإياك أن تصعد الرصيف، أو تطأ الرخام الصقيل.!

ـ اكتب عن هيئة الاستثمار، ولا تسأل عن «بترومين» ـ مثلاً.

ـ غنّ مع الرائع طلال حمزة «جدة غير». . ولا تسأله: «غير بماذا»؟!

ـ اكتب عن مدير إدارة صغيرة «لا يهشّ ولا ينشّ» وصبّ جام غضبك عليه، وإياك أن تصل لوزيره.

وآخر الشهر: ستحصل على المكافأة، والرضا، والتصفيق أيضاً.

تقرير مؤسسة «عنسلا لقنم» عن الخصوصية السعودية!

المجتمع المحافظ ينمو ويتضخم.. ولكنه لا يتغيّر!

«البروفيسور جورج أبو قذيلة ـ محاضر في هارفارد»

أصدرت مؤسسة «عنسلا لقنم» المتخصصة بالدراسات والأبحاث الاجتماعية تقريرها لعام ٢٠١٠م، ولا يعنيني في تقريرها الطويل سوى ما قالته عن بلادي. وممّا جاء في التقرير.. هذه بعض النقاط التي تحدثت خلالها عن المملكة العربية السعودية:

ـ في الكثير من البيوت السعودية لاحظنا وجود «خيمة» أو «بيت شعر» تجده منصوباً في باحة المنزل بجانب الفيلا الحديثة.. وهذا يدل ـ عند علماء النفس ـ أن هذا المجتمع يعيش في لحظة تاريخية مرتبكة ومربكة.. فهو لم يصل إلى المدنية تماماً، ولم يستوعب حضارتها، ولم يستطع أن يتخلّص من البداوة أو يحافظ على قيمها.

هذه «الخيمة» المنصوبة في باحة المنزل تدل على أنه يعاني من انفصام خطير!

ـ جولة بسيطة على المواقع الإلكترونية المحلية ترى مئات

المواقع الخاصة بالقبائل والعائلات، والتي تهتم بأدق تفاصيل القبيلة/ العائلة. تشعر أنهم لم يصلوا بعد إلى «الهوية» الواحدة الجامعة، وأنهم ما يزالون يحافظون على هوياتهم الصغيرة، ويؤمنون أنها الملجأ النهائي والحقيقي. ولا يختلف في هذا بدو أو حضر.

ـ ما يزال التقديس مستمراً لـ «شيخ القبيلة»، و«شيخ الدين».. وأضيف لهما في العقدين الماضيين «شيخ المال». تشعر أنه مجتمع متضخم بالشيوخ، ولا تستغرب إذا وجدت بين كل ثلاثة أفراد «شيخ» واحد.

ـ المجتمع الوحيد الذي ترى فيه الفرد ينام فقيراً، ويصحو في اليوم التالي مليونيراً.. كيف؟.. لا نعلم!.. فهذه إحدى الخصائص العجيبة للمجتمع السعودي.

ـ يتحدثون عن مفردة عجيبة ولها وقع السحر، وهي «شرهه».. وبإمكانها أن تحل كل مشكلاتك المالية في لحظات.

ـ خلال العقد الماضي، ومع ثورة تكنولوجيا الاتصالات التي اجتاحت العالم، انطلق العديد من القنوات التلفزيونية الفضائية والتي تهتم بـ «البعارين»، و«الصقور»، و«الشعر الشعبي».. ورغم وفرتها لن تجد بينها قناة واحدة تهتم بالفكر والثقافة والسياسة. وستجد عدة قنوات تلفزيونية تهتم بـ «المحاورة»، ولن تجد قناة واحدة تهتم بـ«الحوار».

إلاّ إذا كان المقصود بـ(«الحوار»: ابن الناقة).. فأبشر بعزّك!

(المحاورة: اثنان يلعنان سنسفيل بعضهما البعض عبر كلام موزون مقفى) ـ ملاحظة من الباحث ـ.

ـ لا تزال العقدة الكبرى لهذا المجتمع هي «المرأة»: يخاف منها.. ويدّعي أنه يخاف عليها.

ـ يستخدمون «قوقل إيرث» لتحديد موقع «طشت المطر». ويستخدمون «ماجلان» لتحديد الموقع الذي شوهدت فيه «الحبارى» أمس!

معهم تشعر أن الأجهزة الحديثة والابتكارات العلمية المذهلة صنعت لأشياء لم تخطر على بالك.. ولا حتى على بال مبتكرها.

ـ ستة من خبراء المؤسسة حاولوا إكمال هذه الدراسة عن المجتمع السعودي:

(١) قدّم استقالته، (٣) انتحروا، (٢) وسوسا.. وطق فيوز في رأس كل منهما!..

والآن.. الآن فقط عرفنا ما الذي تعنيه «الخصوصية» السعودية.

ملاحظات غير مهمة:

ـ «جورج أبو قذيلة» شخصية خيالية.

ـ مؤسسة «عنسلا لقنم» مؤسسة وهمية، لو قرأتها بالعكس أصبحت «من قل السنع».

سين جيم.. نون!

س: ما الذي حدث لـ «الإصلاح»؟

ج: يُقال إن السيارة تعطلت في منتصف الطريق.

س: طيّب.. (يحكوا عن ورشة «تصليح»؟..)

ج: (وما عرفنا وين هي الورشة)!

س: هل للأمر علاقة بإيقاف «فيروز»؟

ج: فيروز أوقفت بالقانون.. أمام القانون لا يوجد كبار وصغار.

س: وش قصدك؟

ج: لا تورطنا.. لا أقصد أي شيء..!

س: نرجع لـ «الإصلاح».. كنت أظنه كائنا بشريا؟

ج: لو كان من البشر.. تأكد أنه يمشي على عكاز... ولكنه سيارة!

س: إذاً.. ما الذي حدث لـ «سيارة الإصلاح»؟

ج: لمّعناها من الخارج.. ومن الداخل ما تزال كما هي.

س: كيف؟.. لم أفهم!

ج: من الخارج «تلق» كأنها سيارة ولد مراهق، من نوعية (دلوعة ماما).. ومن الداخل «حوسه» كأنها سيارة مطوع!

من الخارج تراها على أحدث طراز.. ومن الداخل تعمل بماكينة «ناقة» عرجاء!

على الطرق المحلية تمشي بشكل، وعلى الطريق الدولي تمشي بشكل آخر.

من الخارج لها مرايا رائعة، ومن الداخل مرآتها مكسورة ولا تعكس الصورة بشكل جيّد.

من الخارج يوجد على زجاجها ملصق عن حقوق الإنسان، ومن الداخل...

س: أراك أسرفت في وصفها؟

ج: لأنني أحبها، وأرجو لها أن تكون رائعة، ومتزنة، ونظيفة من الداخل والخارج، وتحترم القوانين وأنظمة الطريق لكي تعبر الطريق بسلام... ولا تنسَ أنني أحد الركاب!

س: لحظة.. كأنك تتحدث عن البلد؟

ج: أقسم بالله إنك «نكبة».. والشرهة ما هي عليك.. الشرهة على اللي يجاوب على أسئلتك!!

ن:......!!

ما بين بنت سميث وابن القنيبط

(١)

[عبَّرت السائحة الأمريكية جين سميث التي حضرت إلى المملكة ضمن وفد سياحي عن انبهارها بمشاهدتها لحضارة المملكة ورقي سلوك المجتمع السعودي وشدة حنان المواطن على بناته واهتمامه بأسرته، وطالبت جين المجتمع الأمريكي بالاطلاع على ثقافة مثل هذا المجتمع].

هذا ما نشرته صحيفة الرياض قبل فترة في صفحتها الأخيرة، ولا أدري أين تكمن أهمية هذا الخبر:

هل هو في «انبهارها» بحضارتنا؟

أم لأنها أتت ضمن «وفد سياحي» أتى ليقضي إجازته السنوية في ربوع بلادنا السياحية؟!!

أم لأنها مواطنة «أمريكية» مذهولة من حضارتنا ورقينا؟

أم لأنها فقط: «امرأة» غربية انبهرت من «شدة حناننا على بناتنا»؟!!

(٢)

ليست جين سميث هي التي انبهرت بما رأته.. نحن الذين «انبهرنا» لأنها قالت ما قالته عنا!

وكالعادة نبتهج، ونبالغ بالبهجة، عندما يأتي أحد «الغرباء» ويمتدح بلادنا ومجتمعنا خاصة إذا كان من جهة الغرب!

(٣)

نعرف بلادنا، ونعرف مزاياها وحسناتها وعيوبها، ونعرف (شدة حنان المواطن على بناته واهتمامه بأسرته) ونعرف ـ أيضاً ـ الكثير من حوادث العنف الأسري، ونعرف الأسر التي تفككت لعدم تكافؤ النسب، ونعرف الكثير من الحالات التي يقشعر منها البدن والتي تجعلنا في النهاية مجتمعاً طبيعياً: فينا الصالح وفينا الطالح أيضا!.. ولسنا بحاجة لصوت أجنبي ليخبرنا من نحن. ثم.. أريد أن أسأل: هل لو أتت هذه السيدة وقالت نقيض ما قالته هنا.. هل سيأخذ طريقه إلى النشر؟.. هل سنحتفي به؟!

أتذكر الآن: احتفاء إعلامنا المخجل بأي كاتب مغمور، يكتب في صحيفة إيطالية أو فرنسية لا يعرفها أحد.. فقط لأنه قال «كلمتين حلوين» عنّا وعن بلادنا!.. أما عندما تأتي صحيفة مثل النيويورك تايمز وتقول «كلمتين مش حلوين» فإننا ننتفض، ونزبد ونرعد، ونصفها بأنها صهيونية، وتديرها أصابع مشبوهة.. مع أنه أمر طبيعي جداً أن يحدث هذا وذاك. •

لسنا بحاجة لمن يجعلنا نتباهى ببلادنا وبأشيائها الجميلة، ويجعلنا نحبها أكثر.

كما أنه لو اجتمعت كل الأصوات الإعلامية على هجائها فلن ينتقص هذا من محبتنا لها خفقة قلب واحدة.. وعلى فكرة:

انشروا كلام «محمد القنيبط» عن البلد، فهو أهم وأكثر قيمة من كلام «جين سميث» وأضمن لكم أن ابن قنيبط يحب البلد وأهله وولاة أمره وأماكنه «غير السياحية «أكثر من بنت سميث ألف ألف ألف ألف مرة. «ولاّ بس فاضين توصفونه بأنه: جنبلاطي»؟!

وسلامة بنت سميث من «الانبهار»!!

عن شارعنا.. وسكانه!

ـ ما حكم بلع (الريق) للصائم؟! ـ نقلاً عن موقع «نداء الإيمان».

ـ الكشف عن أكثر من ٢٥٠ مليوناً في حساب أحد كتاب العدل!

ـ نقلاً عن صحيفة «الحياة».

(١)

هل السلطة بكل ما تملكه من وزارات ومؤسسات وهيئات هي المسؤولة وحدها عن كل ما يحدث في مجتمعنا من سلبيات؟.. ألسنا كأفراد / كمجتمع.. نشارك ببعض المسؤولية؟

ألسنا شركاء في كل ما يحدث، وأحيانا ـ بشكل ما ـ نشارك بصنع ما يحدث؟

نحن ـ للأسف ـ مجتمع سلبي، يشارك في كل الأخطاء التي تحدث في الشارع.

كم من الأشياء التي نلعنها في العلن، ونمارسها في الخفاء!

نلعن الموظف المرتشي، وننسى الذين شجعوه وقاموا برشوته.. وهم منّا وفينا.

نشتكي من المخدرات التي تملأ الشارع، و«نستحي» أن نقوم بالتبليغ ضد الذين نعرفهم من المهربين والمروجين.. انظروا حولكم.. أنتم تعرفون الكثير من السيئين.. ولكن.. دائماً موقفكم من الأمر ينتهي بعبارة: «وأنا ما لي»!..

بل إننا أحيانا نتسابق إلى مجالس ومكاتب المسؤولين بحثا عن واسطة لإخراج ابننا «السيّئ»!

(٢)

التجار الجشعون هم منا وفينا.

والذين يهرّبون المخدرات، والذين يروجونها، والذين يتعاطونها.. هم منا وفينا.

والعمال الذين يرتكبون المخالفات نحن الذين جلبناهم إلى أسواقنا، وقمنا ببيعهم للمجهول.

والأولاد الذين يتسكعون إلى «أنصاف الليالي» في الشوارع هم أولادنا.

والذين يقومون بالسطو على المنازل هم أولادنا أيضاً.

كل هؤلاء الأولاد الذين يقومون بارتكاب السيئات هم أولادنا «نحن» ونتيجة طبيعية لتربيتنا لهم..

كأننا لا نعرف من تربية الأولاد سوى توفير الخبز والأرز!

(٣)

نحن مجتمع سلبي جدا تجاه كل ما يحدث حوله.

بل إننا ـ كمجتمع ـ مصابون بانفصام الشخصية!

من الخارج، ثقافتنا إسلامية، ونهلل ونسبح بحمد الله، ويكاد أحدنا يموت من شدة الورع!

ونرتبك لخروج خصلة شعر امرأة من وراء الحجاب..

ونغض النظر عما يحدث وراء ألف حجاب وحجاب!!

كيف نكون مجتمعاً إسلامياً، وأخلاق «شارعنا» لا علاقة لها بالإسلام؟!

في الشارع: تجد الراشي والمرتشي واللص.. وجميعهم يحظون بالاحترام والتقدير من سكان الشارع.

في الشارع: تجد الأطفال يتعرضون للاختطاف كل يوم، والمخدرات تباع عند الزوايا.. ولا يقوم أي منا بتبليغ الجهات المختصة عن البائع والمشتري.. لأنه «عيب تبلّغ على قرايبك»!

في الشارع: مرّت عليك ألف مساهمة عقارية.. و٩٩٩ منها تنتهي بـ«طلايب وعلم خايب».

ما الذي ستقوله عن سكان هذا الشارع؟..

منافقون يقولون ما لا يفعلون؟.. أم جبناء لا يعرفون كيف يطالبون بحقوقهم؟.. أم سذّج كل من أتى إليهم «ضحك عليهم».. أم إنهم ـ وببساطة ـ ليسوا سوى مرضى بانفصام الشخصية؟

(٤)

أنا.. وأنت.. والجميع ـ بلا استثناء ـ من سكان هذا الشارع السعودي!

(٥)

الإسلام دين عظيم، وقبل أن يكون وعداً لآخرة رائعة فيها الفوز بالجنة والنجاة من النار.. هو مخطط ودستور لحياة رائعة، ودنيا من العدل والرحمة والصدق والنزاهة والشرف، وعندما ترى مجتمعاً (مسلماً) فيه كل هذا الخلل في العلاقات والأخلاق، والخروج عن القانون.. تصل إلى نتيجتين لا ثالثة لهما:

إما أن هذا المجتمع لديه الكثير من الفهم الخاطئ لدينه..

أو أنه «شبه مسلم» من الخارج، وفي العمق هو أقرب إلى كائن مشوّه لا يدري إلى أين ينتمي!

(٦)

شوارعنا بحاجة إلى أعمدة «إنارة» حقيقية!

الجدران لها آذان، وعيون، وألسن!

وبعد طول نقاش، قال لي صديقي:

أقبل أن آخذ من الغرب «الكافر» الدواء والمصباح والكمبيوتر وكل ما هو مفيد.. ولكن...

قلت له:

وما الذي يمنعك من أخذ «العقل» الذي أنتج هذه الأشياء و«النظام» الذي ساعد على إنتاجها؟!. و«الحرية» التي هيأت الجو لابتكار وإبداع هذه الأشياء؟!

قال لي:

الله يهديك.. فيك غفلة!

وأرتفع الجدار بيننا.. وكاد «التفكير» يتحوّل إلى «التكفير».

(١)

عندما كنا صغاراً، ويأتي الحديث عن أي شأن سياسي ونشارك فيه، يقفز أحد كبار السن إلينا، وينهرنا: «أأص.. الجدران لها آذان».. كبرنا واكتشفنا أن الجدران ليس لها آذان.. ولا ألسن أيضاً!

وعندما نبدأ بـ «التخبيص» ونذكر أسماء بعض المسؤولين الكبار.. يأتي أحد الكبار مدعيا الحكمة، وبعد أن يهز رأسه من الأسى علينا، يقول لنا: «أنتم مجانين.. والله أنهم بكره يقلعونكم وراء الشمس».. وكان يذهلني أن أجهزة الأمن العربي استطاعت ـ وبتفوق ـ أن تبني سجنا وراء «الشمس».. في الوقت الذي ما زالت فيه «ناسا» الأمريكية تحاول بلوغ «المريخ»... يا خيبتك يا أبلة ناسا!!

(٢)

كانت ـ وما زالت ـ وستظل (إلى أن يغيّر الله الأوضاع): علاقة المواطن العربي برجل الأمن علاقة سيئة يملؤها الخوف من جهة المواطن ويملؤها الشك والريبة من جهة رجل الأمن.. كأن كل مواطن عربي ـ بنظر الأجهزة الأمنية ـ هو مشروع مجرم، وخارج عن النظام، إلى أن يثبت العكس.

(٣)

رجل الأمن في عقلية المواطن العربي:

هل هو رجل «الأمن».. أم رجل «الخوف»؟!

هل هو الرجل الذي تلجأ إليه.. أم الرجل الذي تفكر بالهروب منه؟!!

(٤)

رغم كل هذا . . سأقول لكم:

أيها الأبناء، لا تصدقوا الآباء ف «الجدران» ليس لها آذان.

بل إن «الجدار» نفسه آيل للسقوط في أي لحظة.

وتذكروا أن جدار «الوهم» أقسى وأكثر متانة من كل جدران الواقع.

(٥)

قال لي الجدار:

عندما أنهار . . سترى الأنهار!

بلاد الشيخ هليّل!

تقول العبارة (والتي تظن نفسها ذكية وحكيمة) إن: المشيخة.. سيف ومنسف.

والسيف ـ كما تعرفون ـ انكسر في زمن التوماهوك والبي ٥٢ والقنابل الأمريكية الذكية. أما «المنسف» فقد قامت بنسفه الأوضاع الاقتصادية، وحولته الثقافة الغذائية الجديدة من صحن مفطح إلى ساندويتش برغر بالشطة الحارة!

ورغم انتهاء زمن «الشيوخ» إلا أن بلادنا ما تزال تنتج أشكالاً عجيبة من «الشيوخ «تستطيع أن تسميهم «شيوخ ما بعد العولمة» أو «شيوخ الألفية الثالثة» أو «شيوخ الأونطة»!

شيوخ من كافة الأشكال والألوان والأحجام.. حتى إنه يخيّل إليك أن «الشيوخ» في هذا البلد أكثر من «اللا شيوخ»!

سأحدثكم عن بعض النماذج من بعض «شيوخ» ما بعد الطفرة، وهم رغم «حالتهم المستعصية» إلا أنهم كائنات طريفة:

(١)

أول النماذج، قرية صغيرة ومنسية، مساحتها: ثلاثة بيوت وخرابه!

عدد السكان: ٢٧، عدد الشيوخ: ٢٤!

لكثرة ما تسمع فيها كلمة «شيخ» تظن أنك تشاهد مسلسلاً بدوياً أردنياً نصف الممثلين فيه شيوخ!

وطبعا لا تزال المعركة مستمرة وعلى أشدها بين الشيوخ، وذلك على أي البيوت الثلاثة الذي يستحق أن يحظى بعقد إيجار حكومي ويتم على إثرها تحويله إلى مدرسة!

هذا النموذج يستحق أن يطلق عليه «شيوخ للإيجار».

(٢)

النموذج الثاني «شيخ بنكي»!..

نعم، فالبنوك تمنح «المشيخة» لمن يتجاوز رصيده مبلغاً معيناً من المال. وأحد الشيوخ البنكيين أرعد وأزبد على موظفي أحد البنوك عندما استلم دفتر الشيكات الجديد ولم يجد كلمة «الشيخ».

أخبره موظف البنك أن رصيده أقل بخمسة ريالات من الرقم الذي يجعله يستحق كلمة «الشيخ».

فابتسم الشيخ البنكي ـ لسهولة حلها ـ ومنحه الخمسة ريالات، ورد الدفتر إلى الموظف لكي يلغي كلمة «الأستاذ» ويضع بدلا منها كلمة «الشيخ».

ومن يومها والناس يسمون هذا النموذج بـ «شيخ أبو خمسة»!

(٣)

النموذج الثالث من الشيوخ: مواطن «مسكت برأسه» أن يضع لوحة باسمه على جدار منزله الجديد.

ولم يستلطف أن يضع اسمه «حاف» عليها.. فكر.. وفكر.. وأخيرا اهتدى إلى هذه اللوحة:

منزل «الشيخ» فلان الفلاني.. وهذا النموذج من الشيوخ يسمى «شيخ أبو لوحة»!

(٤)

وحتى المهن ـ الصغيرة قبل الكبيرة ـ لها شيوخها: فهناك (شيخ العطارين) و(شيخ الشريطية) و(شيخ الشاورما) أيضاً... ولكن.. ولسوء حظ (الشيخ) الأخير، فقد قام أحدهم بافتتاح محل شاورما وأسماه (إمبراطور الشاورما) ملغياً ـ بلفة شاورما ـ كل ألقاب المشيخة التي سبقته!

(٥)

معمر القذافي (أيوه هوّه نفسو ما غيرو) الأخ / العقيد / الباحث/ الزعيم/ القاص/ المفكر / الـ.. (أي شيء يخطر على

بالكم) قال قبل فترة: إن «شكسبير» يعود لأصول عربية، وإن اسمه الحقيقي هو «الشيخ زبير».. وهذا اكتشاف عظيم لا يتوصل إليه إلا من يمتلك نباهة الأخ العقيد!

ولكن، فاته أن يخبرنا عن شيئين.. الأول:

من أي بلاد العرب هو؟.. أجزم أنه خليجي.. فلا يوجد شيء أكثر من الشيوخ في الخليج.

الأمر الثاني: لم يخبرنا الأخ الزميل العقيد عن «زبير» هذا.. هل هو شيخ فخذ أم شيخ شاورما؟..

أم أنه جمع الحسنيين وصار: شيخ أفخاذ شاورما؟!

(٦)

ألم تملّوا من الشيوخ؟.. أنا ـ بالنسبة لي ـ «قرفت»!

«مشاعل» تعود للحياة، وتقول لكم:.....!

جميعكم سمعتم (أو: قرأتم) عن صبية عرعر «مشاعل». . تلك الفتاة الصغيرة التي قتلها البرد. .

(تحمّل أيها «البرد» فأنت الوحيد الذي نستطيع أن نرفع أصابع الاتهام في وجهك)!

«مشاعل» خرجت من قبرها، وقالت لنا جميعا دون استثناء:

البرد قتلني إذاً؟!!. . ما أجبنكم، أنتم وإعلامكم، وأقلامكم التي لا تصلح حتى كعكاز يتكئ عليه أعرج!

منذ سنوات وأنا أمامكم أسكن في مكان لا تسمحون أن تسكنه حيواناتكم المدللة!

منذ سنوات وأنا أحلم بـ «بطانية» تقيني البرد، في بلد وصلت «بطانياته» المجانيّة، وفروع جمعياته الخيرية مشارق الأرض ومغاربها!

تبا لَكم، ولصراخكم. .

تباً لدموع التماسيح، وللعيون الإعلامية التي تذرفها وهي ترى نصف المشهد وتتعامى عن نصفه الآخر!

كل هذه التغطيات والتحقيقات والمقالات العصماء عن موتي من

البرد والفقر والتجاهل؟!!.. والله لو أنكم منحتموني نصفها قبل موتي لكان أجدى لي وأشرف لكم.. ولو منحتموني ربع هذه المساحة وما تتقاضونه خلالها من إعلانات لاستطعت بثمنها أن أشتري مئات البطانيات.

لا أشعر بصدق صراخكم.. بل أشعر بأن ضمائركم تؤلمكم، وما هذا الضجيج الإعلامي إلا علاج مؤقت لهذه الضمائر النائمة!..

اذهبوا إلى منازلكم الفخمة، والمكيفة بأحدث وسائل التكييف.. وحاولوا أن تنسوا ملامحي.

اذهبوا إلى دواليب الملابس، وأخرجوا منها ملابسكم المزركشة الأنيقة.. وحاولوا أن تنسوا ملامحي.

دلعوا «نوقكم» واصرفوا الملايين لترشيح شاعركم في «شاعر المليون».. وحاولوا أن تنسوا ملامحي.

حاولوا أن تنسوا ملامحي.. فمن أنا حتى أزعج مساءاتكم المرفهة؟!..

أنا لست سوى صبية صغيرة فقيرة، تسكن في أقاصي الشمال البارد.. وتحلم بـ «بطانية».

أما أنتم.............!!

وصمتت «مشاعل» وعادت إلى عالم الأموات.

«وين راح الفرق»؟!

(١)

الفساد: رجل وقح، ولا يشعر بالخجل. تشتمه هنا.. يمد لسانه عليك من هناك. تطارده هناك ولا تدري إلا ويظهر لك في مكان آخر بوجهه البشع وابتسامته الصفراء.. «أما قليل أدب بجد.. هالفساد»!

تراه في مدينتك الصغيرة بمبنى حكومي صغير قدرت تكلفته بثلاثة ملايين، وبجانبه فيلا لمواطن ـ بحجم المبنى الحكومي وأجمل منه ـ يقول صاحبها إنها كلفته ستمائة ألف.. تراه ـ الفساد ـ ينط في وجهك في فرق الكلفتين وهذا الفرق الشاسع بين المبلغين، وتسأل: «وين راح الفرق»؟.. ولماذا تقفز التكلفة في المشاريع الحكومية بهذا الشكل؟!

وعلى ذكر الفروقات الضخمة: أتذكر أنني قرأت فروقات هائلة بين تكلفة مشروع محلي ومشروع شبيه له عند الجيران، ولا أدري ما سبب هذا الفرق الهائل (بالتكلفة) لدينا، والفرق الهائل (بالجمال والنظام) لديهم... ما السبب يا ترى؟

سأحاول جاهداً ـ وكمواطن مخلص ـ أن أبحث عن إجابة تبرر ما يحدث:

أولاً: الأراضي لدى الجيران «بلاش».. ولدينا مملوكة وأسعارها «نار» وهذا مما يزيد بالتكلفة الإجمالية لأي مشروع.

ثانياً: الجيران أتوا بعمالة أرضية رخيصة (أي: من كوكب الأرض) ونحن أتينا بعمالة من «كوكب زحل» وذلك لما عرف عن الإخوة الزحلاويين من مهارة وإتقان.

الزحلاويون: نسبة إلى «زحل» وليس إلى «زحلة»!

ثالثاً: الجيران يستخدمون لمشاريعهم حديداً رخيصاً، ونحن نستورده من «كوكب سابك»!

لحظتها (سينط في وجهي قارئ مقهور) ويقول: طيب يبو الشباب.. هذي اقتنعنا فيها.. وش قولك بمشروع تكلفته تجاوزت خمسة مشاريع عالمية مثيلة له؟!

لحظتها سأصرخ في وجه القارئ: «وين راح الفرق»؟!!

(٢)

لم لا توجد جهة ثالثة بين الجهة التي تسلم المشروع والمقاول الذي يقوم باستلامه لمراقبة ما يحدث بينهما؟.. ما دور هيئات المراقبة وديوان الرقابة وبقية الجهات في مثل هذه الحالات؟

ألا توجد إدارات هندسية تراقب تنفيذ المشروع وتحدد تكلفته التقريبية الحقيقية؟

لماذا تأتي «الرقابة» متأخرة بعد أن ينتهي كل شيء، بدلاً من أن تأتي قبل أن يبدأ كل شيء؟

(٣)

القانون: وضع لكي «يحمينا» ويمنع حدوث الجريمة..

لا لكي يأتي متأخراً ـ ويحاول ـ معاقبة المجرم.

هذا إذا أستطاع أن يعاقبه!

المقالات القصيرة

(أ)

رغم أن بلادنا العربية بلاد جافة، ولا يأتيها المطر إلا في مواسم نادرة، وأحياناً ينقطع عنها سنوات طويلة، إلا أن اللغة العربية تحتفي به ـ المطر ـ وتسميه بعشرات الأسماء:

الحيا، والنضح، والبغش، والديمة، والدث، والرك، والرهمة، والوابل، والجود، والغيث، والعباب، والصنديد، والودق. ولا تنسوا تعدد أسماء مصادره: سحابة، غيمة، مزنة..

ويسمون أول المطر: الرش والطش.

ويحددون قوة هطوله وضعفه بأسماء أخرى:

(الطل) أخف المطر وأضعفه، و(الهطل والتهتان) المطر الغزير السقوط.

ويفكر جهابذة اللغة العربية بإضافة اسم جديد لـ(المطر) ليضاف إلى هذه الأسماء في معاجم اللغة العربية، وهو: «كاشف الفساد».. كما يسمونه في السعودية!

(ب)

مسؤول سعودي قام بزيارة «مفاجئة».

وسُبحانك إلهي: قام بتغطية هذه الزيارة وتصويرها خمسة مراسلين لخمس صحف محلية!

كيف تكون «مفاجئة» إذاً؟!.. لا أعرف...! الذي أعرفه أن المسؤول والصحف كأنهما اتفقا على السخرية من «القارئ» السعودي بنشرهم لمثل هذا الخبر.

هذه ليست صحافة.. هذه «بخاخات» تلميع!

(ج)

(بلادنا: قارة مترامية الأطراف وتتعثر فيها مشاريع بناء المدارس لعدم وجود الأراضي)!

أعرب الجملة السابقة، وأخرج منها الفاعل والمفعول به والجار والمجرور على وجهه:

الأراضي: مفعول به.. كانت في المخطط الرئيسي للحي «مدرسة» و«حديقة» و«مسجداً»

أتى «فاعل» مجهول، وحوّلها إلى مخطط لعشر أراض سكنية..

أتى «فاعل» ثان ومجهول أيضاً وأخرج لها صكاً رسمياً..

أتى «فاعل» ثالث وباعها.

المواطن: مجرور على وجهه، وعلامة جره البؤس الواضح على ملامحه!.

ما أسهل القبض على «الفاعلين» الثلاثة في الجملة السابقة.. لو أردتم!.

(د)

قبل أن تلعن هذا الطابور غير المنظم، تذكر أنك واقف في منتصفه، وأنك جزء من فوضاه.

قبل أن تشتكي من هذا الموظف.. تذكر أنه في مكتبك في هذه اللحظة مراجع ينتظر عودتك!

قبل أن تلعن «المرتشي».. تذكر أن الحديث لعن «الراشي» قبله.

قبل أن تتذمر من هذا الشارع (وأخلاقه وتصرفاته) تذكر أنك من سكانه!

(هـ)

الشيخ «عبدالله المطلق» من ألطف وأظرف الدعاة والمشايخ، فهو معروف عنه ـ حفظه الله ـ بجانب سعة علمه أنه سريع البديهة، لطيف العبارة، مرح الإطلالة. لهذا تروى عنه الكثير من الطرائف.. ولكثرتها لا نعرف ما هو الصحيح منها، وما هو الذي (ألفه) الناس

عليه.. من بينها أن أحدهم سأل الشيخ: هل يجوز يا شيخ أكل «البطريق»؟!

فأجاب الشيخ ساخراً من غرابة السؤال: «إذا لقيته.. كله»!.. أي: إذا وجدته عليك بأكله.

ولن يكون الحديث عن طرائف الشيخ، وهي لا تمل، ولكن هذه الطرفة هي مدخل للحديث عن فوبيا «الحلال والحرام» التي تسيطر على رؤوس أمثال هذا السائل.

فهذا الذي يسأل عن «البطريق» تجده هو وأسلافه لم يشاهدوا هذا الحيوان في حياتهم.. (يُقال إنه شاهده في برنامج وثائقي.. ويُقال إنه يقصد الفقمة.. ولكن اشتبه الأمر عليه).. ورغم هذا هو مشغول: هل أكل البطريق حلال أم حرام؟!

وآخر ـ على مشارف الخمسين من عمره ـ لم يتجاوز حدود منطقته، ولم يسبق له السفر خارج البلاد، ومع هذا يسأل: عن كيفية الصيام في القطب الجنوبي المتجمد؟!!

وآخر يسأل: ما حكم بلع الريق للصائم؟!..

ومع هذا تجد لديه مقدرة على «بلع» مليون ريال إذا سنحت له الفرصة!

ولا تستغربوا إذا سأل أحدهم مستقبلا: هل يجوز أكل طبخة «مقلقل» لحم رقبة زرافة؟.. وما هي الضوابط الشرعية لهذه الطبخة؟!!

(و)

عند كل أزمة محلية اعتدنا كسعوديين أن نردد عبارة «الطاسة ضايعة» وأظن ـ والله أعلم ـ أنه لا توجد «طاسة» بالأساس.. حتى نتباكى على ضياعها!

لهذا أقترح أن يتم توزيع «طاسة» لكل مواطن.. مع كتابة إقرار أن يحافظ على «طاسته».. فإن لم ينفع هذا الاقتراح فلا بد من تفعيل نظرية «ما فيش فايدة.. غطيني يا صفية» ويصرف لكل مواطن «صفية» و«غطاء» وبهذا سنقضي على الفساد.. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم!

(ز)

السادة / شيوخ الخليج الكرام:

يلتف حولكم في مجالسكم الخاصة أنصاف الكُتاب والشعراء والموهوبين، وتغدقون عليهم من أموالكم... وأنا لا أدّعي الكمال، ولكنني على الأقل لست نصف موهوب.. لي طريقتي الخاصة.. ولغتي الجذابة والمدهشة (أقولها دون خجل) ولي جمهور لا بأس به.. يثق ـ في الغالب ـ في ما أقوله. لهذا: أعلن لكم أن قلمي للبيع.. فمن أراد تحسين صورته، أو ترويجها جماهيريا، أو مديحا يحفظه التاريخ.. فنخبركم أننا على أتم الاستعداد لفعل ذلك مقابل «مليون» واحد.. شرط أن يكون باليورو (لفرق الصرف).

من يهوي منكم الشعر نحن على أتم الاستعداد لترميم قصيدته

(على أيدي متخصصين) وتطعيمها ببعض الصور والعبارات الحديثة، بالإضافة إلى عرض خاص: وجود دراسات نقدية جاهزة تشيد بشاعريتكم المذهلة. ومن يهوى الفروسية سنجعله ـ عبر وسائلنا ـ أحد فرسان الزمان... وهكذا.

ـ من يدفع أكثر سيجد ما يسره من إماء الكلمات وجواري المعاني.

ـ نعمل (ننافق) ٢٥ ساعة في اليوم.

ـ أما «الذمة» فهي في إجازة اضطرارية وذلك بسبب الأوضاع الاقتصادية في العالم.

ـ مديحكم هو هدفنا.. وطمس الحقيقة هو تخصصنا.

(ح)

في العالم العربي تسمّى «الزوجة» بعدة أسماء.. ليس من بينها اسمها الحقيقي:

فمرّة «أم العيال» ومرّة «الأهل» ومرّة «البيت» وعند بعض المجتمعات «النِسرة»!

والمصيبة إذا استظرف أحدهم نفسه وأراد أن يستعرض خفة ظله «اللي تهبّل» يقول عنها «وزارة الداخلية»!

بالله عليكم.. ما وجه الشبه بين «الزوجة» و«وزارة الداخلية».. ولماذا نصف إحداهما بالأخرى؟!

هل لأن وزارة الداخلية طيبة وحنونة و«تفلي» رأسك آخر الليل... بحثاً عن فكرة مشبوهة؟!

أم السبب لأن الزوجة تراقبك وتكتم أنفاسك وحريتك؟!

(ط)

على القائد أن يُفكر ألف مرة: أي طريق سيسلك في رحلته؟

وعليه أن يُفكر آلاف المرّات: أي «مركبة» سيختار؟

وهل ستصلح لهذا الطريق؟

وهل ستكون آمنة؟

ف «الركاب» كثيرو التذمر.. ويخافون من المجهول!

(ي)

«لماذا عبرت الدجاجة الطريق؟»

سؤال ساخر باهر ابتكره أحد المبدعين وتخيّل الإجابات عليه.

تعالوا لنبتكر إجاباتنا الخيالية، وذلك بعد أن ندخله فرن «السعودة» ونغيّره قليلاً.. ليصبح بهذا الشكل:

لماذا عبرت الدجاجة (السعودية) الطريق؟

ـ أول إجابة ستأتيك بسرعة الضوء: أرجو ألا تكون في طريقها إلى (ديك) أجنبي!

ـ أحد الحالمين سيقول لك: كانت في طريقها إلى صناديق الاقتراع.

ـ أحدهم بدلا من الإجابة سيسأل: عبرت بسيارة أم على قدميها؟!

ـ صوت رابع سيقول: شاهدت الزحام في الجهة الأخرى من الشارع وظنتها جمعية خيرية!

ـ أحدهم، ممن يزعجه الضجيج ولا يرى فرقا بين الجدل والدجل، صرخ قائلاً:

«يا أخي يمكن تايهة.. ليش مكبّر الموضوع»!

ـ تاجر جملة.. وأفكار معلبة، قال: لعلها هاربة من زواج مسيار يربطها بديك قبيح أو هاربة إلى ديك فارقته مرغمة لعدم تكافؤ النسب.

ملاحظة مهمة: الدجاجة السعودية لم تعبر الطريق، وإذا فكرت بالعبور فسوف تتعرض لحادث دهس من سيارة هايلوكس تويوتا موديل ٨٤ يقودها ولد مراهق!

(ك)

عودتنا السينما العربية على النهايات السعيدة، تلك التي تنتهي بزواج البطل من البطلة، والقبض على المجرم في نهاية الفيلم.

لهذا لم أستطع أن أستلطف الكثير من «الأفلام» التي تحدث في

مؤسساتنا ووزاراتنا.. فلا هناك نهاية سعيدة واضحة لكثير من الإشكالات التي تحدث لدينا، ولا يُقبض في نهايتها على «محمود المليجي».. ولا حتى «توفيق الدقن»!

استعيدوا ـ من الذاكرة ـ كل «الأفلام» التي حدثت لدينا طوال السنوات الماضية، وهزت الرأي العام، جميعها تنتهي بلا شيء!

جمهور الصالة يصرخ: أوقفوا العرض!

(ل)

..، وجاء في تقرير رجال المرور: إن إحدى «التصريحات» لمسؤول ـ غير مسؤول ـ مرّت في الشارع السعودي مسرعة، وقد تجاوزت السرعة القانونية، وبعد قطعها للإشارة المرورية، قامت بدهس «أحلام» المواطن والتي كانت لحظتها تتمشى على رصيف البلد. وما تزال «أحلام» ترقد في العناية المركزة.

أما القضية فقد قُيّدت ضد مجهول.. وذلك بعد أن كادت أن تُقيّد ضد «أحلام» لمخالفتها أنظمة السير..

فالـ«أحلام» لا تتجوّل في عز النهار!

أيها الناس:

أدعوا لـ «أحلام.. نا» الصغيرة بالشفاء العاجل.

(م)

هي، أو هو: يدخل الشات ليتحاور مع الجنس الآخر بكل شيء وحول أي شيء. يذهب إلى موقع الأفلام ليشاهد أحدث الأفلام السينمائية. يدخل إلى منتداه المفضل ليناقش في كل القضايا السياسية والاجتماعية بكل جرأة. وعبر اسمه (أو: اسمها) المستعار يبتسم بمرح ويوزع النكات على الآخرين. وما أن يضغط على زر إغلاق الكمبيوتر، ويخرج من عالم الانترنت الافتراضي، إلا وتعود إليه بطريقة آلية: تكشيرته، وخوفه، وشكله التقليدي المحافظ!

كل شعوب الأرض: شكلها الواقعي لا يختلف كثيراً عن شكلها «الافتراضي» على الإنترنت.. إلا نحن..

في الواقع شيء، وعلى الإنترنت: شعب افتراضي!!

(ن)

قبل فترة ألزم ديوان المظالم وزارة الداخلية بأن تدفع لمواطن (٣٩٠٩) ريالات تعويضاً له بسبب سجنه مدة (٦) أيام في شرطة الحمراء وغرناطة في الرياض بدون وجه حق.

وبصراحة، الـ (٩) ريالات سببت لي قلقا أكثر مما فعلته الـ (٣٩٠٠) ريال ومن خلالها اكتشفت هذه المعادلة: ٣٩٠٩ تقسيم ٦ = ٥,٦٥١ ريال.. وهي قيمة حرية المواطن السعودي لمدة يوم واحد حسب قسمة ديوان المظالم!

في الغرب (المنحل / ملعون السنسفيل / اللي ما يخاف الله ولا

يرجيه) إذا تأخرت عليك رحلة الطائرة تحصل على تعويض بأضعاف هذا المبلغ!

(س)

أعلم أن الله سبحانه خلق الإنس والجن ليعبدوه، ولكنني لا أعلم سر تفضيل الجان للسعوديات وتفرغه لـ «تلبسهن» وتفضيله لهن بين بقية نساء العالم.. ألم يخطر على بال هذا الجني التعس أن يذهب إلى «موسكو» مثلاً؟!

كما أنني لا أفهم مزاج هذه «الجنية» التي تركت «توم كروز» ـ وبقية الحلوين في العالم ـ لتتلبس مواطناً سعودياً أكلح أشهب، طالما أن لديها القدرة على تلبس ما تشاء من الرجال!

هل العيب في الجان وذائقتهم؟

أم العيب في الإنس الذين يظنون أن أي مرض نفسي هو مسٌّ من الجن؟!

(ع)

ما أن تدخل إلى منطقة ما إلا ويأتي إليك أحد الرسميين ليقول لك: «الخصوصية».. انتبه!.. لا تصطدم بها.

وما أن تذهب إلى المنطقة الأخرى إلا ويخرج عليك أحد الشيوخ ليقول لك: «الثوابت».. قف!.. ولف مع الشارع الثاني.

هكذا تقود سيارتك في شارع الصحافة السعودي ولا تدري في أي حفرة ستقع.. وأمام أي لوحة مرورية ستحصل على المخالفة؟!

بالله عليكم أخبرونا ما هي «المتحركات» حتى لا نقع في «الثوابت»

وأعطونا قائمة «العموميات» حتى لا نسقط في فخ «الخصوصية»!

شو بدّي ب البلاد؟.. اللّه يخليّ الأولاد!

(١)

فكرت أن أغني للبلد في يومه العظيم:

تذكرتك يا صديقي، وأصاب النشاز صوتي!

أتخيلك وحدك، في غرفة مظلمة وباردة.. كنت تريد أن تغني له على طريقتك..

ولكن صوتك العذب لم يعجبهم.

كأن البلد لا تحب سوى غناء السماسرة، وحملة المباخر، وقارعي الطبول.

(٢)

فكّرت أن أغني لـ «الفرح» في يومك العظيم.. وتذكرت أنه «مكروه» وغير مستحب!

(٣)

«وطني».. مللت من الأغاني المثالية!

صرت أميل أكثر إلى العبارات الواقعية، مثل (الخبز.. قبل الحب)

والجوعى لا يفكرون بالحب..

والذين تطاردهم الأقساط، والديون، والفواتير المستحقة..

لا يجدون الوقت لكي يحبوا أولادهم..

و.. (شو بدي بالبلاد.. الله يخلي الأولاد).

(٤)

«وطني».. من الذي اختطفك مني؟

«وطني».. لكي تكون حرا، لا بد أن يكون «مواطنك» حراً

«وطني» لكي تكون في الأعلى، لا بد أن يرفع مواطنك رأسه

إلى الأعلى.. لا أن يكتفي برفعه في الأغاني.. وينحني في الشوارع!

«وطني».. أحبك ورب الكعبة.. ولكن.. هل تحبني أنت؟

أعلم أنك لست راتباً أستلمه آخر الشهر.. ولكن.. ماذا أفعل بمحبتك و«الراتب» يسرقه اللصوص؟!.

(٥)

ولدت أنت في ٢٣ أيلول، وولدت أنا في ٢٥ أيلول (كما تقول

شهادة ميلادي المزيفة!).. ترى، ما الذي حدث في ٢٤ أيلول لكي تكون علاقتنا بهذا الشكل؟!

(٦)

«وطني» بحثت عنك.. لكي أحتضنك.. وأقبّل جبينك..

ولكنني لم أجدك!

(٧)

«وطني».. أرجو أن تقبل اعتذاري..

أنا ـ ولغتي ـ عاجزان!

هل يكون المقال الأخير؟!

(١)

ينتابني أحياناً شعور غريب، يجعلني أراني جزءا صغيرا، من لعبة كبيرة وخفية!

كأنني (ودون علمي) أراجوز تحركه الأيدي الخفية. . وذلك لكي يستمتع الجمهور و«ينفّس» عن غضبه من بعض الأشياء.

(٢)

هنالك «مسرح» كبير. . أمثل فيه ولا أراه!

ولا يراه بقية الممثلين. . وحتى «الجمهور» لا يراه أيضا.

نخرج عن النص أحياناً. . ولكن. . يظل هذا الخروج «المحسوب» تحت نظر المُخرج، وهو وحده الذي يحدد مساحة هذا الخروج.

(٣)

من الذي يخدع الآخر و«يضحك عليه»: الممثل.. أم الجمهور؟!

(٤)

الأبطال الحقيقيون.. لا يصعدون إلى خشبة المسرح.

الأبطال الحقيقيون.. وراء الكواليس!

(٥)

ذات مشهد، راودتني نفسي الأمّارة بالسوء.. والشغب، بالخروج عن النص، وصرخت قائلاً:

علقوا المتمسح بديننا بعمامته، والمتأمرك بكرافتته!

أعيدوا البلد للبلد!

اسألوا هذا المُنتفخ: «من أين لك هذا»؟

واقطعوا يده إن أجاب الإجابة الخاطئة!

قاطعني المُخرج غاضباً: الله.. الله.. إيه اللي بتهببه يا ابني؟!!

وكاد يرمي بي وراء الكواليس!

(٦)

العرض (رغم كل ما فيه من أخطاء وفساد) لا يزال مستمراً. .

هل السبب هذه العبارة الرائجة «الجمهور عاوز كده»؟

أم أن «المُخرج» عاوز كده. . رغم أنف الجمهور؟!

الأكيد أن «الممثل» خان دوره في الحالتين.

(٧)

في مثل هذه المسرحية الزائفة الكاذبة:

أن تكون «الكومبارس» الصادق، أفضل ألف مرة من أن تكون «البطل» الكاذب المخادع.

أما أنت أيها «الجمهور» الغبي. . واصل المشاهدة والضحك. . عليك!

(٨)

مللت من «التمثيل». . وأفكر بالانسحاب من العرض!



محمد الرطيّان الشمري ـ كاتب سعودي

صدر له:

ـ كتاب «كتاب» ـ ٢٠٠٨م (من أكثر الكتب مبيعاً في السعودية)

ـ رواية «ما تبقى من أوراق محمد الوطبان» ـ ٢٠٠٩م (الفائزة بجائزة: رواية العام ـ ٢٠١٠م)

ـ كتاب «محاولة ثالثة» ـ ٢٠١١م

موقعه الرسمي: www.alrotayyan.com

البريد الالكتروني: alrotayyan@gmail.com

البريد العادي:

السعودية ـ رفحاء ـ ص. ب: ٧٤

محمد الرطيان

إرشادات الطريق

هذا الكتاب

تفضل واقرأ معي ما يقول محمد الرطيان:

« ـ من هو أعظم ناقد سعودي؟

ـ المطر!»

و. . . «بإمكان عود ثقاب أن يحرق غابة كاملة، ولكن ليس بإمكانه أن يعود شجرة. . »

حين تفرغ من قراءة هذا. . ماذا بوسعك أن تقول؟ أنت لا بد أن تقول أولاً: هذا ما كان ضباباً في خاطري، وبالطبع كان في خاطر الرطيان. . ولكنه استطاع أن يحيل ضبابه إلى ضوء وهذا ما يعجزني. ولا بد أن تقول ثانياً: هل هذا ما يسمونه الإيجاز؟ ولكن الإيجاز هو: (التعبير عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل) ونحن نعرف أنه يتم بأسلوبين: أسلوب الحذف وأسلوب القصر. . فهل هذا ما يدخل فيه قول الرطيان؟ لا. هو ليس الإيجاز القديم. إنه إيجاز إبداع معنى جديداً للكلمات، فقد أحال المطر إلى شجرة كثيفة المعاني وأحال عود الثقاب إلى مطر من الإيحاءات.

محمد العلي

أحد العقول الذكية حوّر كلمة قديمة وجعلها تقول: إذا كان بيتك من زجاج فلا تستحم. لا بد أنه عقل يشبه عقل محمد الرطيان، أقصد أولئك الكتبة الذين لا تقول لهم الكلمات دعني. ولكنها تصرخ بهم: خذني. . . خذني، والذين تأتي الفكرة إليهم مثلما يطرق القرّاء مقالاتهم، هم الذين يشكّلون حالة اختلاف حيث يمنحون اللحظة الكتابية روحاً غير روحها ويفاجئون الورق بغير ما يتوقع، ذاك معنى تراه حينما ترى قلم هذا الرطيان الراطن بكلماتنا حتى ليجعل ثقافتنا تستحم في بيتها الزجاجي ليتكشف المغطى ويدفعك للتعرف عليك بعد أن غفلت عن نفسك كثيراً وجاءك الرطيان ليدير وجهك إليك ويغسل جسد ثقافتك في مغسل زجاجي تراه كل العيون ولا يبقى للتكتم منزل ولا مهرب، هي لحظة الكشف حيث تكون الكتابة مشروعاً في الشجاعة والصدق.

عبدالله الغذامي

